تحفة الأحباب

بمن ملك مصر من الملوك والنوّاب

ليوسف الملّوانى الشهير بابن الوكيل
(المتوفى سنة ١١٣١هـ/١٧١٩م)

تحقيق
محمّد الششتاوى

دار الآفاق العربية

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

رقم الإيداع	٣٨٧٨/ ٩٩
الترقيم الدولى I.S.B.N	977-5727-45-6

دار الآفاق العربية

القاهرة ـ ٥٥ شارع محمود سعت من شارع الطيران

مدينة نصر ـ ت : ٢٦١٠١٦٤

إهداء إلى الصديقين

عكاشه الدالي

محمد عبد الرازق

بسم الله الرحمن الرحيم

على الرغم من أهمية مخطوط تحفة الأحباب هذا إلا أنه لم يحقق وينشر من قبل، وشاء حظى أن أكون أول من يظهره للطبع فى مصر لينضم إلى قائمة المصادر المطبوعة الخاصة بالعصر العثمانى ليساعد بقدر ما دارسى تاريخ وحضارة ذلك العصر.

تعريف بالمخطوط

هذا كتاب نادر الذكر فى فهارس المكتبات ودور الكتب العربية والأجنبية وعنوانه المخطوط «كتاب تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب» ومؤلفه يوسف الملوانى الشهير بابن الوكيل.

والنسخة المخطوطة المتداولة منه فى مصر تحمل رقم ٢٨ تاريخ بمكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج، وقد صورته دار الكتب المصرية وجعلته فى فهارسها تحت رقم ٥٦٢٣ تاريخ ورقم الميكروفيلم الخاص به ٣٦٤٢١، ٤١٥٤٤، وقد صور معهد المخطوطات العربية هذا الفيلم تحت رقم ١٤٦ تاريخ.

وقد ذكر محققا كتاب الدرة المصانة فى أخبار الكنانة أنه يوجد نسخ أخرى للكتاب بمكتبة جامعة ييل والمكتبة الوطنية بفيينا منسوبة إلى محمد بن يوسف الحلاق.

وقد صورت نسخة كاملة من المخطوط من دار الكتب المصرية التى هى موضع تحقيقنا.

والكتاب يقع فى ٤٠٣ صفحة وعدد أسطر الصفحة الواحدة ٢٣ سطراً ومتوسط عدد كلمات السطر الواحد ما بين ٨ إلى ١٠ كلمات، وهو مكتوب بخط نسخ معتاد، وقد حرص الناسخ على ضبط هوامشه إلى حد كبير.

وناسخ هذا الكتاب هو مرتضى بيك بن مصطفى بيك بن حسن بيك الكردى الدمشقى صديق المؤلف، وقد نسخ المخطوط عن النسخة التى بخط المؤلف نفسه يوسف الملوى أو الملوانى الشهير بابن الوكيل.

وما ألفه المؤلف ينتهى إلى صفحة ٣٥٨ من المخطوط ويلى ذلك ذيل للكتاب كتبه مرتضى بيك يبدأ من صفحة ٣٥٨ وينتهى بنهاية المخطوط أى صفحة ٤٠٣ .

المؤلف

لم أجد ترجمة للمؤلف سوى ما ذكره الزركلى فى كتابه الأعلام (نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط٩، سنة ١٩٩٠م، المجلد الثامن، ص ٢٥٢، والترجمة مقتضبة نصها «ابن الوكيل.. بعد ١١١٤هـ/ بعد ١٧٠٤م، يوسف بن محمد الميلوى (المولوى) أبو الحجاج المعروف بابن الوكيل» ونلاحظ هنا أن كلمة الميلوى (المولوى) نسبة إلى الطريقة المولوية وليست نسبة إلى بلدة ملوى بمحافظة المنيا. وباقى الترجمة «أديب لطيف التصانيف كان بمصر، من كتبه تغريد العندليب على غصن الأندلس الرطيب، رأيته فى خزانه محمدبن الهادى المنوفى الحسنى بمكناس بخط يوسف بن عبدالله الديرينى الرفاعى، اختصر به نفح الطيب فى مجلد ضخم وزاد عليه فوائد وكان انتهاؤه منه فى مصر يوم الأحد ٦ذى القعدة ١١١٤هـ/ ١٧٠٢م، وأحسن المسالك لأخبار البرامك، وبغية المسامر وغنية المسافر».

إلا إننا نكتسب معلومات من المخطوط الذى بأيدينا نرجح به تاريخ وفاته بأواخر سنة ١١٣١هـ/١٧١٩م أو ما بعدها إذ أن آخر تاريخ ذكره هو : «يوم الثلاثاء عشرى (٢٠) شوال ١١٣١هـ/١٧١٩م »، ولقبه فى المخطوط الملوانى أو الملوى نسبة إلى مدينة ملوى.

وقد أشار الملوانى إلى كتاب من تأليفه فى المخطوط اسمه عيون الأثر.

ونلاحظ من خلال المخطوط أن ابن الوكيل هذا يغلب على طبعه الجانب الصوفى، وتمكنه من صنعته فى التأليف التاريخى ومنهجه السلس.

منهج الكتاب

جعل ابن الوكيل (يوسف الملوانى) لهذا الكتاب مقدمة يليها أربعة أبواب، المقدمة فى ذكر فضائل مصر وما ورد فى حقها من الآيات العظام ومن دخلها ومن ولد بها من الأنبياء الكرام والخلفاء الأربعة الراشدين والأربعة الأئمة المجتهدين والأربعة أصحاب الطريق، والباب الأول فى من ملك مصر بعد الطوفان إلى أن فتحها الله على المسلمين، والباب الثانى فى ذكر من وليها بعد الفتح من النواب من زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ثم فى زمن الخلفاء الأمويين والخلفاء

والاثار والعلوية والطيب ومن الحكايات [illegible]
في النبيه [illegible] **ذكر سيرة النبي**
[illegible] عليه الصلاة والسلام واصحابه الكرام [illegible]
صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم
ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب
ابن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة
ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الى
هو المتفق عليه وما بعده الى آدم عليه السلام
اختلاف كثير وامه عليه الصلاة والسلام آمنة بنت
وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن
لوي ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين في شهر ربيع الاول
من عام الفيل قيل ثانيه وقيل ثالثه وقيل ثاني عشره وقيل
غير ذلك حملت به امه في ايام التشريق عند الجمرة الوسطى وقيل
غير ذلك وليلة ميلاده عليه الصلاة والسلام اضطرب
ايوان كسرى حتى سمع صوته وسقطت منه اربعة عشر شرافة
وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بالف عام وغاضت بحيرة
ساوة وارضعته حليمة بنت ابي ذؤيب السعدية
وقد شق صدره وهو في مكة وايام بعد ان استخرج حظ
الشيطان منه وارضعته ايضا ثويبة الاسلمية جارية ابي
لهب وحضنته ام ايمن بركة الحبشية وكان ورثها من ابيه ثم
لما كبر اعتقها وزوجها زيد بن حارثة وتوفي ابوه وهو حمل وقيل
وله شهران وقيل سبعة وقيل مات ابوه وله ثمانية وعشرون
شهرا وماتت امه وهو ابن اربع سنين وقيل ست وكفله

جده

جده عبد المطلب وله ثمان سنين وشهرين وعشرة
ايام توفي عبد المطلب فكفله ابو طالب ولما بلغ ثلاث عشرة
سنة وشهرين وعشرة ايام خرج مع عمه ابي طالب الى الشام
فلما بلغ بصرى رآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته فجاء واخذ
بيده وقال هذا رسول رب العالمين [illegible]
رحمة للعالمين [illegible] انه لم يبق حجر ولا شجر
الا خر ساجدا [illegible] ولا يسجدان الا لنبي [illegible] وقال
لابي طالب ان قدمت به الى الشام قتلته اليهود فرده خوفا
عليه ثم خرج مرة ثانية الى الشام مع ميسرة غلام خديجة
في تجارة لها قبل ان يتزوجها فلما قدم الشام نزل تحت ظل شجرة
قريبا من صومعة راهب فقال الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة
قط الا نبي وكان ميسرة يقول اذا كانت الهاجرة واشتد الحر
نزل ملكان يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره ولما
رجع من سفره ذلك تزوج خديجة بنت خويلد وعمره خمس
وعشرون سنة وشهران وعشرة ايام وقيل ثمان وعشرون
وروي انه اصدقها اثني عشر اوقية ذهبا وهي اول من آمن
به عليه الصلاة والسلام وقيل غير ذلك ولما بلغ خمسا
وثلاثين سنة شهد بنيان الكعبة ووضع الحجر الاسود
بيده ولما بلغ اربعين سنة ويوما ابتعثه الله بشيرا ونذيرا
واتاه جبريل عليه السلام بغار حراء فقال اقرأ فقال ما انا
بقارئ فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاخذني فغطني حتى بلغ
مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فقال
في الثالثة اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق

الشريف ومن دخلها ومن ولد بها من الانبيا الكرام ومن كان
بها من الصحابة والتابعين والاربعة المجتهدين هداة الخلق والاربعة
الاوليا الكرام اربات [illegible] ذكرها ومدحها في القرآن
بالتصريح [illegible] الايات والاحاديث اما ذكرها في القرآن
فقد ذكر الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في
كتابه حسن المحاضرة انها ذكرت في القرآن [illegible] وعشرين
موضعا وفي الاحاديث [illegible] صلى الله عليه وسلم
اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند
خير اجناد الارض قال ابو بكر رضي الله عنه ولم ذلك يا رسول
الله قال لانهم وازواجهم في رباط الى يوم القيمة وذكر
الحافظ السيوطي في كتابه كوكب الروضة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال الجيزة روضة من رياض الجنة ومصر خزائن
الله في ارضه قال السيوطي ومعناه ان الجهاد في
الجيزة والمرابطة فيها يؤدي باهله الى روضة من رياض الجنة وهذا
حين كانت دار جهاد ورباط قبل ان ينتشر الاسلام فيما حولها
وفيها نادرة لطيفة وهي ان الجزيرة المعروفة بالروضة
روضة من رياض الدنيا ومقابلها في تلك الجهة الجيزة التي
هي من رياض الجنة وروي ان الجبل المقطم من الطور المقدس
وان موسى عليه السلام ناجى ربه عليه وآثار سجوده
باقية الى الآن وروي عن عبد الله بن لهيعة ان عيسى
ابن مريم عليه السلام اتى اسفل المقطم ووالدته فقال
يا اماه هذه مقبرة امة محمد صلى الله عليه وسلم وروي
ان كعب الاحبار كان يوصي [illegible] من اصحابه ان

يأتيه

يأتيه بشيء من تراب الجبل في قبره عند موته ولذلك
[illegible] رضي الله تعالى عنه [illegible]
[illegible] من الانبيا [illegible]
[illegible]
وغيرهم [illegible]
واسماعيل ويعقوب ويوسف [illegible]
من ولد [illegible] من الانبيا [illegible] بمصر بلا
خلاف ودخلها سليمان ويوشع وشعيب وولد بها موسى
وهارون ويوشع بن نون ودانيال وارميا ويوسف المذكور
في سورة غافر وهو يوسف ابن افرائيم بن يوسف بن
يعقوب ولد بمصر ومات بها ودخلها من الصديقين الخضر
وذو القرنين ومن النساء مريم وسارة وآسية وام موسى
وسكينة [illegible] وعيسى صلوات الله عليهم اجمعين وقد صح
ان الذين دخلوا مصر من الانبيا اثنان وثلاثون غير السوق
بما فيه من الاختلاف والاتفاق وقد نظم بعضهم فقال
قد حل في مصر ووافاه وزاره من النبيين زادوا مصر تأنيسا
فهاك يوسف والاسباط مع ابيه وحافده وخليل الله ادريسا
لوطا وايوب ذا القرنين خضر سليمان ارميا يوشعا وهارون مع موسى
ولعمر [illegible] لقمان [illegible] ودانيال شعيا [illegible] عيسى
شيثا ونوحا واسماعيل فقد ذكروا [illegible] بالمصر تأنيسا
ودخلها من الحكماء الالهيين افلاطون صاحب النواميس
والكلام وبقراط صاحب الحكمة والبلاغة وبطليموس صاحب
الرصد والمساحة والحساب وارسطاطاليس صاحب المنطق

الحمد لله الكريم الوهاب ، الحليم التواب ، الذى تفرد بالبقاء ، وحكم على ماسواه بالفناء ، لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ، أحمده وهو المحمود بكل لسان ، واشكره شكر استوجب به مزيد الإحسان ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تملأ الأكوان ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد ولد عدنان ، صلى الله عليه وعلى السادة الأعيان ، وأصحابه ذوى الفضل والعرفان ، صلاة وسلاماً يملآن الأكوان . وبعد

فلما كان علم التاريخ من أنفس ما يحاضر به ، ويتنافس فى طلبه ، إذ به تعرف أحوال القرون الخالية ، والأمم الماضية ، خطر لى أن أجمع تاريخ لطيفًا ومختصراً ظريفاً ، أذكر فيه أحوال مصر والقاهرة ، وما أشتملت عليه من الأوصاف الباهرة ، ومن ولها من بعد الطوفان ، ومن ناب فى ولا يتها عن الخلفاء الأعيان ، ومن استقل بها من ملوك الأكراد ومماليكهم المعروفين بالأتراك والجراكسة ، ومن ناب بها عن آل عثمان من وزارئهم الأعيان ، وقدمت على ذلك نبذة تشتمل على ذكر سيرة سيد المرسلين ، ورواحم الخلفاء الراشدين ، والأربعة الأئمة المجتهدين ، والأربعة أصحاب الطريق ، الذين سرى سرهم فى كل فريق ، وجعلت ذلك وشاحاً لهذا الكتاب ، ووسيلة ببلوغ الثواب ، ورتبته على مقدمة وأربعة أبواب ، المقدمة فى ذكر فضائل مصر وما ورد فى حقها من الآيات العظام ، ومس دخلها ومن ولد بها من الأنبياء الكرام ، عليهم الصلاة والسلام ، والخلفاء الأربعة الراشدين ، والأربعة الأئمة المجتهدين ، والأربعة أصحاب الطرائق وهداية الخلائق ، والباب الأول فى من ملك مصر بعد الطوفان إلى أن فتحها الله على المسلمين ، والباب الثانى فى ذكر من وليها بعد الفتح من النواب من زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ثم فى زمن الخلفاء الأمويين والخفاء العباسيين والخلفاء المعروفين بالفاطميين ثم من ناب عنهم فيها ، والباب الثالث فى ذكر من وليها من سلاطين الأكراد ومماليكهم الأتراك والجراكسة إلى أن انتزعها منهم السلطان سليم خان بن عثمان ، والبا ب الرابع فى ذكر ملوك آل عثمان ونوابهم فيها إلى هذا الأوان ، وحين تم انتظامه على هذا الاتساق ، وحلا لذوى الأذواق ، وسميته تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب ، وأرجو ممن استحلى نفائسه ، واستجلى عرائسه ، أن يستر ما فيه من زلل ، ويسد ما تضمنته مطاويه من خلل ، بان يسبل عليه ذيل المسامحة ، ولا يعامل بالمشاحة ، ومن ممد الكون، استمد العون ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

المقدمـــة
فى ذكر ما ورد فى حق مصر من الآيات العظام

ومن دخلها ومن ولد بها من الأنبياء الكرام وذكر الخلفاء الراشدين والأربعة المجتهدين هداة الخلائق والأربعة الأولياء الكرام أرباب الطرائق .

ذكر ما ورد فى القرآن العظيم فى حق مصر من الآيات والأحاديث

أما ذكرها فى القرآن فقد ذكر الحافظ جلال الدين السيوطى رحمة الله تعالى فى كتابه حسن المحاضرة بأنها ذكرت فى القرآن فى ثمانية وعشرين موصعاً (١) ، وأما الأحاديث فمنها قوله ﷺ : إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض . قال أبوبكر رضى الله عنه : ولما ذلك يارسول الله ؟ قال : لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة .

وذكر الحافظ السيوطى فى كتابه كوكب الروضة عن النبى ﷺ أنه قال : الجيزة روضة من رياض الجنة ، ومصر خزائن الله فى أرضه ، قال السيوطى : ومعناه أن الجهاد فى الجيزة والمرابطة فيها يؤديان إلى روضة من رياض الجنة وهذا حين كانت دار جهاد ورباط قبل أن ينتشر (٢) الإسلام فيما حولها ، وهنا نادرة لطيفة وهى أن الجزيرة المعروفة بالروضة (٣) ، روضة من رياض الدنيا ومقابلها فى تلك الجيزة التى هى من رياض الجنة .

ويروى أن الجبل المقطم من الطور المقدس وأن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه وآثار مسجده باقية إلى الآن ، وروى عن عبد الله بن لهيعة أن عيسى بن مريم عليه السلام أتى أسفل المقطم مع والدته فقال : ياأماه هذه مقبرة أمة محمد ﷺ . وروى أن كعب الأحبار كان يوصى من يسافر إلى مصر من أصحابه أن يأتيه من ترابها ليغرس فى قبره عند موته ، وكذلك جعل عمر بن عبدالعزيز رضى الله تعالى عنه مثل ذلك .

ذكر من دخل مصر من الأنبياء ومن ولد بها منهم عليهم الصلاة والسلام

نقل الحفاظ السيوطى والمقريزى وغيرهما من المؤرخين والحفاظ أنه دخلها إبراهيم الخليل

---

(١) ورد ذكر مصر صراحة فى القرآن الكريم فى خمسة مواضع ، والباقى يعد تاويل .
والآيات التى ورد فيها ذكر مصر صراحة هى قوله تعالى : (اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم) . سورة البقرة الآية ٦١ ، وقوله تعالى (وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأا لقومكما بمصر بيوتا) . سورة يونس الآية ٨٧ ، وقوله تعالى (وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه) . سورة يوسف الآية ٢١ ، وقوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام . (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) . سورة يوسف الآية ٩٩ ، وقوله تعالى حكاية عن فرعون : (أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى) . سورة الزخرف الآية ٥١ .

(٢) يتيسر فى الأصل .

(٣) جزيرة الروضة تتوسط النيل جنوب القاهرة بين مصر القديمة (الفسطاط) التى تقع على الضفة الشرقية للنيل ، والجيزة التى تقع على الضفة الغربية للنيل ، وكانت جزيرة الروضة من أحسن متنزهات مصر ، وهى حادثة قبل الإسلام ، ومساحتها حوالى ٥٠٠ فدان

وإسماعيل ويعقوب ويوسف وأخوته وهم أثنا عشر نبياً من ولد يعقوب وهم الأسباط وهم مدفونون بمصر بلا خلاف ، ودخلها سليمان وأيوب وشعيب ، وولد بها موسى وهارون ويوشع بن نون ودانيال وأرميا ويوسف المذكور فى سورة غافر وهو يوسف بن أفرابيم بن يوسف بن يعقوب ولد بمصر ومات بها .

ودخلها من الصديقين الخضر وذو القرنين ، ومن النساء مريم وسارة وآسية وأم موسى ، وسكنها لقمان وعيسى صلوات الله عليهم أجمعين ، وقد صح أن الذين دخلوا مصر من الأنبياء أثنان وثلاثون غير النسوة على ما فيه من الاختلاف والاتفاق وقد نظمهم بعضهم فقال :

قد حل فى مصر فى ما قد رووا زمر (١) ∴ من النبيين زادوا مصر تأنيسا
فهاك يوسف والأسباط مع أبه ∴ وحافداً وخليل الله إدريسا
لوطا وأيوب ذا القرنين خضر ∴ سليمان أرميا يوشعا وهارون مع موسى
وأمه سارة لقمان آسية ∴ ودانيال شعيبا مريما عيسى
شيثا ونوحاً واسماعيل قد ذكروا ∴ لازال من أجلهم (٢) ذا المصر مأنوسا

ودخلها من الحكماء الإلهيين أفلاطون صاحب النواميس والكلام ، وبقراط صاحب الحكمة والبلاغة وبطليموس صاحب الرصد والمساحة والحساب ، وارسطاطاليس صاحب المنطق والآثار العلوية وأرطيس ، ومن الحكماء المشاهير غير هؤلاء نحو الخمسين والله أعلم بالصواب .

ذكر سيرة النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام

نسبة الشريف ﷺ : هو ابن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، هذا هو المتفق عليه وفيما بعد عدنان إلى آدم عليه السلام فيه اختلاف كثير .

وأمه عليه الصلاة والسلام آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

ولد ﷺ يوم الأثنين فى شهر ربيع الأول من عام الفيل قيل ثانيه وقيل ثالثه وقبل ثانى عشره وقيل

---

(١) زمرا فى الأصل .
(٢) أجلهم – ذكرهم فى حسن المحاضرة .

غير ذلك ، حملت أمه في أيام التشريق عند الجمرة الوسطى وقيل غير ذلك ، وليلة ميلاده عليه الصلاة والسلام اضطرب إيوان كسرى حتى سمع صوته وسقطت منه أربع عشرة شرافة (١) ، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة (٢) ، وأرضعته حليمة بنت أبى ذؤيب الهذلية وعندها شق صدره وملىء حكمة وإيماناً بعد إن استخرج حظ الشيطان منه ، وأرضعته أيضا ثويبة الأسلمية جارية أبى لهب ، وحضنته أم أيمن بركة الحبشية وكان ورثها من أبيه فلما كبر أعتقها وزوجها زيد بن حارثة ، وتوفى أبوه وهو حمل وقيل وله شهران وقيل سبعة وقيل مات أبوه وله ثمانية وعشرين شهراً ، وماتت أمه وهو ابن أربع سنين وقيل ست ، وكفله جده عبدالمطلب ولما بلغ ثلاث سنين وشهرين وعشرة أيام توفى عبدالمطلب فوليه أبو طالب ، ولما بلغ أثنى عشر وشهرين وعشرة أيام خرج مع عمه أبى طالب إلى الشام فلما بلغ بصرى رآه بحيرة الراهب فعرفه بصفته فجاءه وأخذ بيده وقال : هذا رسول رب العاملين يبعثه الله رحمة للعاملين ، إنكم حين أقبلتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجدا ولا يسجدان إلا لنبى وإنا نجده فى كتبنا ، وقال لأبى طالب : لئن قدمت به الشام لتقتله اليهود فرده خوفاً عليه ، ثم خرج مرة ثانية إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة فى تجارة لها قبل أن يتزوجها ، فلما قدم الشام نزل تحت ظل شجرة قريباً من صومعة راهب فقال الراهب : مانزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى ، وكان ميسرة يقول : إذا كانت الهاجرة واشتد الحر نزل ملكان يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره ، ولما رجع من سفره ذلك تزوج خديجة بنت خويلد وعمره خمس وعشرون سنة وشهران وعشرة أيام وقيل ثمان وعشرون ، وروى أنه أصدقها اثنتى عشرة أوقية ذهبا ، وهى أول من آمن به عليه الصلاة والسلام وقيل غير ذلك ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة شهد بنيان الكعبة ووضع الحجر الأسود بيده ، ولما بلغ أربعين سنة ويوما ابتعثه الله بشيراً ونذيراً وأتاه جبريل عليه السلام لغار حراء فقال : إقرأ فقال : ما أنا بقارىء فقال ﷺ :فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : إقرأ فقلت : ما أنا بقارىء : فقال فى الثالثة : "إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" ، وكان مبتدأ النبوة فيما ذكر يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الأول ثم حاصره أهل مكة فى الشعب ، فأقام فيه محصوراً دون الثلاث سنين هو وأهل بيته ، وخرج من الحصار وله تسع وأربعون سنة ، وبعد ذلك بثمانية اشهر وأحد عشر يوماً مات عمه أبو طالب ، وماتت خديجة بعد ذلك بثلاثة أيام ، ولما بلغ خمسين سنة وثلاثة أشهر

---

(١) (اربعة عشر) فى الأصل .
والشرافة هى الحلية المعمارية التى توضع على هيئة صف متوالى أعلى واجهة المبنى ، وتسمى أيضاً العرائس ، وهى إما على هيئة أشكال هندسية أو على هيئة أوراق نباتية مثل التى تعلو واجهات مساجد القاهرة
(٢) ساوه مدينة بين الرى وهمدان بفارس (ايران) .

قدم عليه أهل نصيبين فأسلموا ، ولما بلغ إحدى وخمسين سنة وثلاثة أشهر أسرى به من بين زمزم والمقام إلى بيت المقدس ثم أتى بالبراق فركبه وعرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلاة ، ولما بلغ ثلاث وخمسين سنة هاجر من مكة إلى المدينة فى يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول ودخل المدينة فأقام بها عشر سنين سواء ، وتوفى ﷺ بها (١) ، وفى بعض هذه التواريخ خلاف بين أهل النقل ذكرنا ما حضرنا منها فى كتابنا المسمى بعيون الأثر ، وكانت غزواته ﷺ فى هذه المدة خمسا وعشرين وقيل سبعا وعشرين ، قاتل منها فى سبع : بدر وأحد والخندق وبنى قريظة وبنى المصطلق وخيبر والطائف ، وقيل قاتل أيضاً بوادى القرى والغابة وبنى النضير انتهى ، وكانت بعوثه عليه الصلاة والسلام نحواً (٢) من خمسين ، وحج عليه الصلاة والسلام بعد الفرض حجة واحدة وقبل ذلك مرتين ، وخرج فى حجة الوداع بعد أن ترجل وتدهن وتطيب فبات بذى الحليفة وقال : أتانى الليلة آت من ربى فقال : صل فى الوادى المبارك وقل عمرة فى حجة فأحرم بهما قارنا ودخل مكة يوم الأحد بكرة من كداين الثنية العليا وطاف للقدوم فرمل ثلاث ومشى أربعاً ثم خرج إلى الصفا فسعى راكباً ثم أمر من لم يسق الهدى بنسخ الحج إلى العمرة ونزل بأعلى الحجون فلما كان يوم التروية توجه إلى منى فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبات بها وصلى بها الصبح فلما طلعت الشمس سار إلى عرفه وضربت قبته بنمره فاقام بها إلى أن زالت الشمس فخطب الناس وصلى بهم الظهر والعصر بأذان واقامتين ثم راح إلى الموقف فلم يزل يدعو ويهلل ويكبر حتى زاغت الشمس ثم رجع (٣) ، إلى المزدلفة بعد الغروب وبات بها وصلى الصبح ثم وقف بالمشعر الحرام حتى أسفر ثم دفع قبل طلوع الشمس إلى منى فرمى جمرة العقبة بسبع حصيات يبدأ بالتى تلى الخيف ثم بالوسطى ثم بجمرة العقبة ويطيل الدعاء عند الأولى والثانية ونحر يوم نزوله منى وأفاض إلى البيت فطاف به سبعاً ثم أتى السقاية فاستسقى ثم رجع إلى منى ثم نفر في اليوم الثالث فنزل المحصب وأعمر عائشة من التنعيم ثم أمر بالرحيل ثم طاف للوداع وتوجه للمدينة، وأما عمره فأربع كلها فى ذى القعدة .

صفته عليه الصلاة والسلام

كان بعيد ما بين المنكبين ، أبيض اللون مشرباً حمرة ، يبلغ شعره شحمة أذنيه ، ولم يبلغ الشيب فى رأسه ولحيته عشرين شعرة ، طاهر الوضاءة يتلألأ وجهه نوراً كالقمر ليلة البدر ، حسن الخلق معتدل ، إن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سما وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ،

(١) (بها) ساقطة من الأصل . (٢) نحو فى الأصل .

(٣) رفع فى الأصل .

وأحسنه وأحلاه من قريب ، حلو المنطق واسع الجبين أزج الحواجب فى غير قرن ، أقنى القرنين ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، أشنب ، مفلج الأسنان ، بين كتفيه خاتم النبوة ، يقول واصفه : لم أر قبله ولا بعده مثله .

ومن أسمائه عليه الصلاة والسلام

أنا أحمد وأنا محمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى أحشر الناس ، وأنا العاقب فلا نبى بعدى ، وفى رواية وأنا المقفى ونبى التوبة ونبى الرحمة ، وفى صحيح مسلم : ونبى الملحمة ، وسماه الله فى كتابه بشيراً ونذيراً ومدثراً وعبداً فى قوله تعالى : "سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً" ، وعبد الله فى قوله تعالى "وأنه لما قام عبد الله يدعوه" ونذيراً مبيناً فى قوله تعالى "وقل إنى أنا النذير المبين" ومذكر فى قوله تعالى "إنما أنت مذكر" وقد ذكر غير ذلك وأكثر، هذه صفاته .

ومن أخلاقه عليه الصلاة والسلام

سئلت عنه عائشة رضى الله عنها فقالت : كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه ولا ينتقم لنفسه ولا يغضب لها إلا أن تنتهك حرمات الله فينتقم لله ، وإذا غضب لم يقم لغضبه أحد ، وكان أشجع الناس وأسخاهم وأجودهم ماسئل شيئاً فقال لا قط ، ولا يبيت فى بيته دينار ولا درهم فإن فضل ولم يجد من يأخذه وفجأه الليل لم يرجع إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه ، ولا يأخذ مما أتاه الله إلا قوت أهله عاما فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ، ثم يوثر من قوت أهله حتى ربما احتاج قبل أنقضاء العام ، وكان أصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة وأحلم الناس وأشد حياءا من العذراء فى خدرها خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جل نظره الملاحظة ، وكان أكثر الناس تواضعاً ، يجيب من دعاه من غنى أو فقير أو حر أو عبد وأرحم الناس ، يصفى الإناء للهرة ، وما يرفعه حتى تروى رحمة لها ، وكان أعدل الناس وأشدهم إكراماً لأصحابه ، لا يمد رجليه بينهم ، ويوسع عليهم إذا ضاق المكان ، ولم تكن ركبتاه تتقدمان ركبة جليسه ، من رآه بديهة هابه ، ومن أهابه أحبه ، له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا لقوله وإن أمر تبادروا لأمره ، يبدأ من لقيه بالسلام ، ويتحمل لأصحابه ويتفقدهم ويسأل عنهم فمن مرض عاده ومن غاب دعا له ومن مات استرجع فيه واتبعه الدعاء له ، ومن كان يتخوف أن يكون وجد فى نفسه شيئاً انطلق إليه حتى يأتيه فى منزله ، ويخرج إلى بساتين أصحابه ويأكل ضيافهم ، ويتألف أهل الشرف ويكرم أهل الفضل ، ولا يطوى

بشره عن أحد ولا يجتو عليه ، ويقبل معذرة المعتذر ، والقوى والضعيف عنده فى الحق سواء ، ولا يدع أحداً يمشى خلفه ويقول : خلوا ظهرى للملائكة ، ولا يدفع أحداً يمشى معه وهو راكب حتى يحمله فإن أبى قال : تقدمنى إلى المكان الذى تريد ، ويخدم من خدمه ، وله عبيد وإماء لا يترفع عليهم فى مأكل ولا ملبس ، قال أنس رضى الله عنه : خدمته نحوا من عشر سنين فو الله ما صحبته فى حضر ولا سفر لأخدمه إلا كانت خدمته لى أكثر من خدمتى له وما قال لى أف قط ولا قال لشىء فعلته لم فعلت كذا ، وكان عليه الصلاة والسلام فى سفر فأمر بإصلاح شاة فقال رجل يارسول الله علىّ ذبحها وقال آخر علىّ سلخها وقال آخر علىّ طبخها فقال ﷺ وعلى جمع الحطب فقالوا يارسول الله نحن نكفيك فقال قد علمت أنكم تكفونى ولكنى كرهت أن أتميز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه وقام لجمع الحطب ، وكان فى سفر فنزل إلى الصلاة ثم كر راجعاً فقيل يارسول الله : أين تريد ؟ فقال : أعقل ناقتى ، فقالوا : نحن نعقلها فقال : لا يستغن أحدكم بالناس ولو فى قضمة من سواك ، وكان لايجلس ولا يقوم إلا على ذكر واذا انتهى إلى قوم جلس حيث أنتهى به المجلس ويأمر بذلك ويعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، وإذا جلس إليه أحدهم لم يقم عليه الصلاة والسلام حتى يقوم الذى جلس اليه إلا أن يستعجله أمر فيستأذنه ، ولا يقابل أحدا بما يكره ولا يجزى السيئة بمثلها بل يعفو ويصفح ، وكان عليه الصلاة والسلام يعود المرضى ويحب المساكن ويجالسهم ويشهد جنائزهم ولا يحقر فقيراً ولا يهاب ملكاً لملكه ، يعظم النعمة وإن قلت لايذم منها شيئاً ، ما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه ، وكان يحفظ جاره ويكرم ضيفه ، وكان أكثر الناس تبسما وأحسنهم بشراً ، لايمضى له وقت فى غير عمل لله أو فيما لابد منه وما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه ، يخصف نعله ويرقع ثوبه ويركب الفرس والبغل ويردف عبده خلفه أو غيره ، ويمسح وجه فرسه بطرف كمه أو بطرف(١) ، رداءه ، يحب الفأل ويكره الطيرة ، وإذا جاءه ما يحب قال : الحمد لله رب العاملين وإذا جاءه ما يكره قال الحمد لله على كل حال ، وإذا رفع الطعام من بين يديه قال : الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وأوانا وجعلنا مسلمين ، وأكثر جلوسه مستقبل القبلة يكثر الذكر ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ، ويستغفر فى المجلس الواحد مائة مرة ، وكان يستمع لصدره فى الصلاة أزيز كأزيز المرجل من البكاء ، وكان يصوم الأثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وعاشوراء ، وقل ما كان يصوم(٢) فى يوم الجمعة ،وأكثر صيامه فى شعبان ،وكان عليه الصلاة والسلام تنام عيناه ولا ينام قلبه انتظاراً للوحى ، وإذا نام نفخ ولا يغط ، وإذا رأى فى منامه ما يكره قال : هو الله لا شريك له ، وإذا أخذ

---

(١) بطرد فى الاصل .

(٢) يفطر فى الأصل .

مضجعه قال : رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك ، وإذا استيقظ قال : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور ، وكان لا يأكل الصدقة ويأكل الهدية ويكافىء عليها ولا يتأنق فى مأكل ، وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع ، وأتاه الله بمفاتيح خزائن الأرض فلم يقبلها واختار الآخرة ، وأكل الخبز بالخل وأكل لحم الدجاج الحبارى وكان يحب الدبا والذراع من الشاة ، وقال : كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة ، وكان يأكل بأصابعة الثلاث ويلعقهن ، وأكل خبز الشعير بالتمر والبطيخ بالرطب والتمر بالزبد ، ويحب الحلو والعسل ويشرب قاعداً وربما شرب قائماً ، ويتنفس ثلاثاً ، مبينا للإناء ويبدأ بمن عن يمينه إذا شرب لبنا ، وقال : من أطعمه الله طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، وقال : ليس شىء يجرى مكان الطعام والشراب غير اللبن ، وكان يلبس الصوف وينتعل المخصوف ولا يتأنق فى ملبس ، وأحب الملبس إليه الحبرة من برود اليمن فيه حمرة وبياض ، وأحب الثياب إليه القميص ، ويقول إذا لبس ثوباً استجده : اللهم لك الحمد كما ألبستنيه ، أسألك خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له ، وتعجبه الثياب الخضر ، وربما لبس الأزار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفه بين كتفيه ، ويلبس يوم الجمعة برده الأحمر ويعتم ، ويلبس خاتماً من فضة نقشه محمد رسول الله فى خنصره الأيمن وربما فى الأيسر ، ويحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة ويقول : إن الله جعل لذتى فى النساء والطيب وجعل قرة عينى فى الصلاة ، وكان يتطيب بالغالية والمسك أو المسك وحده ، ويتبخر بالعود والكافور ويكتحل بالأثمد وربما اكتحل ثلاثا فى اليمين واثنين فى اليسار وربما اكتحل وهو صائم ويكثر دهن رأسه ولحيته ويدهن غبا ويكتحل وترا ، ويحب التيمن فى ترجله وتنقله وفى ظهوره وفى شأنه كله ، وينظر فى المرآة ولا تفارقه قارورة الدهن فى سفره والمكحلة والمرآة والمشط والمقراض والسواك والإبرة والخيط ويستاك فى الليلة ثلاث مرات قبل النوم وبعده عند القيام لوروده وعند الخروج لصلاة الصبح ، وكان يحتجم ، وكان يمزح ولا يقول إلا حقا ، جاءته إمرأة فقالت : يارسول الله احملنى على جمل ، فقال : أحملك على ولد الناقة فقالت : لا يطيقنى فقال لها الناس : وهل الجمل إلا ولد الناقة ، وجاءته إمرأة فقالت : يارسول الله إن زوجى مريض وهو يدعوك . فقال : لعل زوجك الذى فى عينه بياض ، فرجعت وفتحت عين زوجها فقال : ما لك ؟ فقالت : أخبرنى رسول الله ﷺ أنك فى عينيك بياضاً ، فقال : وهل أحد إلا وفى عينيه بياض ، وقالت له أخرى : يارسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة ، فقال : ياأم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز ، فولت المرأة وهى تبكى فقال عليه الصلاة والسلام اخبروها بأنها لا تدخلها وهى عجوز ، إن الله تعالى يقول "إنا أنشأناهن إنشاءاً فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً" .

ذكر زوجاته عليه الصلاة والسلام

تزوج خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وقد سبق ذكرها ، ثم سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نضر بن مالك بن حسيل بن عامر ابن لؤى، وكبرت عنده فأراد طلاقها فوهبت يومها لعائشة وقالت لا حاجة لى فى الرجال وإنما أريد أن أحشر فى زوجاتك ، ثم عائشة بنت أبى بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن سعد بن كعب بن تيم (١) بن مرة تزوجها بمكة قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث وهى بنت ست أو سبع، وتوفيت سنة ثمان وخمسين وقيل غير ذلك ولم يتزوج بكراً غيرها تكنى أم عبد الله ،ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب ابن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب ، روى أنه طلقها فنزل جبريل عليه السلام فقال : إن الله يأمرك أن ترجع حفصة فإنها صوامة قوامة ، وفى رواية قال رحمة لعمر رضى الله عنه ، وتزوج أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان صحر بن حرب بن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف وهى بالحبشة وأصدقها عند النجاشى أربعمائة دينار وولى نكاحها عثمان بن عفان وقيل خالد بن سعيد بن العاص وتوفيت سنة أربعة وأربعين ، هـ/ ٦٦٤م وتزوج زينب بن جحش بن رئاب (٢) بن يعمر بن صبرة بن مرة بن بكير بن غانم بن وردان بن أسد بن خزيمة وهى بنت عمته أميمة وتوفيت بالمدينة سنة عشرين هـ/ ٦٤٠م وهى أولهن وفاة وأول من حمل على النعش ، وتزوج هند بنت أبى امية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهى أم سلمة وماتت سنة أثنين وستين هـ/ ٦٨٢م وهى آخرهن موتاً وقيل ميمونة، وتزوج جويرية (٣) بنت الحارث بن أبى ضرار بن الحرث بن عايد بن مالك بن المصطلق ، سبيت فى غزوة بنى المصطلق فوقعت لثابت بن قيس بن شماس فكاتبها فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابها وكانت إمرأة ملاحة فقال لها رسول الله ﷺ : أو حير من ذلك أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك فقبلت فقضى عنها وتزوجها وتوفيت سنة ست وخمسين هـ/ ٦٧٦م، وتزوج صفية بنت حيى بن أخطب بن أبى حيى بن كعب بن الخزرج النضرية من ولد هارون عليه السلام ، سبيت من خيبر فأعتقها وجعل عتقها صداقها ، توفيت سنة خمسين هـ/ ٦٧٠م، وتزوج ميمونة بنت الحرث بن حزن بن مجير بن الهزم بن كلبية بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة خالة خالد بن الوليد وعبد الله بن عباس وهى آخر من تزوج وتوفيت سنة إحدى وخمسين وقيل سنة ست وستين فإن تبت ذلك فهى آخر من مات ، هؤلاء غير خديجة اللاتى مات عنهن ، وتزوج زينب بنت خزيمة أم المساكين سنة ثلاث من الهجرة ولم تلبث عنده إلا يسيراً شهرين أو ثلاث وماتت ، وتزوج فاطمة بنت الضحاك وخيرها حين نزلت أية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها ثم رؤيت بعد ذلك وهى تلتقط البعر وتقول أنا الشقية اخترت الدنيا،

---

(١) يتمر فى الأصل .
(٢) رباب فى الأصل .
(٣) حويرة فى الأصل .

وتزوج إساف أخت دحية الكبى ، وخولة بنت الهذيل وقيل بنت حكيم وهى التى وهبت نفسها له وقيل تلك أم شريك واسمها بنت كعب الجرنية ، وعمرة بت زيد وطلقها قبل الدخول بها (١) ، وإمرأة من غفار فرأى بها بياضا فألحقها بأهلها ،وإمرأة تميمية فلما دخل بها قالت أعوذ بالله منك فقال منى عائذة الحقى بأهلك ، غالية بنت ظبيان طلقها حين دخلت عليه ، وبنت الصلت وماتت قبل أن يدخل عليها ، ومليكة (٢) الليثية فلما دخل عليها قال لها هبى لى نفسك قالت وهل تهب المليكة نفسها للسوقة فسرحها ، وخطب ﷺ إمرأة من مرة فقال أبوها إن بها رصا ولم يكن بها برصا فرجع فإذا هى برصاء، وخطب إمرأة من أبيها فوصفها له وقال أزيدك أنها لم تحرض فقال ما لهذه عند الله من خير فتركها وكان صداق نسائه خمسمائة درهم لكل واحدة ، هذا أصبح ما قيل إلا صفية وأم حبيبة انتهى .

ذكر أولاده ﷺ

القاسم وبه كان يكنى ، وعبد الرحمن ويسمى الطيب والطاهر ، وقيل الطيب غير الطاهر ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، هلك البنون قبل الإسلام أطفال ، والبنات أدركن الإسلام وأسلمن وكلهن من خديجة ، وولد له بالمدينة ابراهيم من مارية ومات وهو ابن سبعين ليلة وقيل سبعة أشهر وقيل ثمانية عشر شهراً ، وكلهم ماتوا فى حياته إلا فاطمة تأخرت بعده ستة أشهر ، وكانت زينب عند أبى العاص بن أبى الربيع بن عبد شمس فولدت له عليا مات صغيراً، وإمامه تزوجها على ثم خلف عليها المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب فولدت له يحيى ، وكانت فاطمة عند على فولدت له حسناً وحسينا ومحسنا رضى الله عنهم أجمعين فذهب محسنا صغيراً وولد له رقية وزينب وأم كلثوم وماتت رقية قبل البلوغ وتزوجت زينب عبد الله بن جعفر فولدت له عليا وماتت ، وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب فولدت له زيدا وخلف عليها بعده عون بن جعفر ثم أخوه محمد ثم أخوه عبد الله ، وأما رقية فكانت عند عثمان بن عفان رضى الله عنه فولدت له عبد الله وتوفت يوم جاء زيد بن حارثة بشيراً بالفتح يوم بدر فتزوج أم كلثوم أختها وماتت عنده فى شعبان سنة تسع وكانت قبله عند عتيبة ورقية عند عتبه وابنى أبى لهب .

ذكر أعمامه وعماته ﷺ

الحرث ، وقثم، والزبير ، وحمزة ، والعباس ، وأبوطالب واسمه عبد مناف، وأبو لهب واسمه عبد العزى وعبد الكعبة، وحجل واسمه المغيرة، وضرار، والعيداق، وعماته صفيه، وعاتكة، وأروى (٣)، واسمه، وبره، وميمونة، وأم حكيم البيضاء ، أسلم منهم حمزة والعباس وصفية .

---

(١) بها أضفتها ليستقيم المعنى . (٢) ملائكة فى الأصل. (٣) أورى فى الأصل!

ذكر مواليه

زيد بن حارثة واعتقه وابنه أسامة بن زيد ، وثوبان بن بجدد (١) ، وأبو كبشة ، وأنيسة وأعتقه ، وشقران واسمه صالح قيل ورثه من أبيه وقيل اشتراه من عبدالرحمن بن عوف وأعتقه ، ويسار نوبى وقتله العرنيون ، ورباح نوبى وأعتقه، وأبو رافع أسلم وهبه له العباس بشره بإسلام العباس وزوجه سلمى مولاة له فولدت عبد الله كتب لعلى ، وأبو مويهب وأعتقه وفضالة مات بالشام ، ورافع مولى سعيد بن العاص وأعتقه ، ومدعم وهبه له رفاعة الجذامى قتل بوادى القرى ، وكركره نوبى أهداه له هود بن على وأعتقه ، وزيد جد هلال بن يسار ، وعبيد ، وطهمان ، ومابور القبطى من هدية المقوقس ، وواقد وابن واقد ، وهشام وأبو ضميرة من الفىء وأعتقه ، وحنين وأبو عسيب واسمه أحمر وأبو عبيدة ، وسفينة كان لأم سلمة فأعتقه وشرطت عليه أن يخدم النبى ﷺ حياته فقال لو لم تشترطى على مافارقته وكان اسمه رباحا وقيل مهران ، وأبو هند وأعتقه وأنجشة ، والحادى وأبو لبابه ، وقد عدوا كثيراً من ذلك ، ومن الإناث سلمة، وأم رافع، وبركة حاضنة ورثها من أبيه، ومارية، وريحانه سبيت من قريظة، وميمونة بنت سعد وخضرة ورضوى .

وخدمه

من الأحرار أنس بن مالك ، وهند وأسماء ابنا حارثة ، وربيعة بن كعب ، الأسلميون ، وعبد الله بن مسعود ، وعقبة بن عامر ، وبلال ، وسعدود و ، مخمر (٢) بن أخى النجاشى ، وبكير بن شداخ الليثى (٣) ، وأبو ذر الغفارى .

وحرسه

سعد بن معاذ يوم بدر ، وذكوان بن عبد قيس ومحمد بن سلمة بأحد ويوم الخندق ، وعباد بن بشر وسعد بن أبى وقاص وأبو بخيير ، وبلال بوادى القرى ، ولما نزلت هذه الآية "والله يعصمك من الناس" ترك الحرس .

ذكر رسله ﷺ إلى الملوك

عمرو بن أمية إلى النجاشى واسمه أصحمة وهو عطية فوضح كتاب رسول الله ﷺ على عينيه ونزل عن سريره وجلس على الأرض وأسلم ومات فى حياة النبى ﷺ سنة تسع وصلى عليه ،

---

(١) عدى فى الأصل والتصحيح من العبر لابن خلدون .

(٢) ذو مخمر او ذو مخبر فى عيون الاثر جـ ٢ ص ٣٩٠ .

(٣) الليبى فى الأصل والتصحيح من الإصابة لابن حجر جـ ١ ص ١٦٩ .

ودحية بن خليفة الكلبى إلى ملك الروم قيصر وهو هرقل فثبت عنده نبوته ﷺ وَهَمَّ بالإسلام فلم تواقفه الروم فخافهم على ملكه ولم يسلم (١) ، وعبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى ملك فارس فمزق الكتاب فقال عليه الصلاة والسلام : « مزق الله ملكه كل ممزق » ، وحاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس فقارب الإسلام وأهدى إلى النبى ﷺ مارية (٢) ، وسيرين والبغلة الشهباء دلدل ، وقيل : وألف دينار وأثواباً عشرين ، وعمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى ملكى عمارة فأسلما وخليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بينهم فلم يزل حتى توفى النبى ﷺ ، وسليط بن عمرو العامرى إلى هوذة بن على صاحب اليمامة فأكرمه وبعث إلى النبى ﷺ : ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله وأنا خطيب قومى وشاعرهم فاجعل لى الأمر فأبى النبى ﷺ ولم يسلم هوذة ، وشجاع بن وهب الأسدى إلى الحرث الحميرى إلى اليمن والعلا بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين فأسلم ، وأبو موسى الأشعرى بعثه إلى اليمن ومعه معاذ بن جبل فأسلم عامة أهل اليمن وملوكهم من غير قتال .

ومن كتب له عليه الصلاة والسلام

الخلفاء الأربعة وعامر بن فهيرة وعبد الله بن الأرقم ، وأبى بن كعب ، وثابت بن قيس بن الشماس ، وخالد بن سعيد ، وحنظلة بن الربيع ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية ، وشرحبيل بن حسنة ، وكان على والزبير ومحمد بن مسلمة وعاصم بن ثابت بن أبى الأفلج والمقداد يضربون الأعناق بين يديه .

والنجباء من أصحابه

أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة وجعفر وأبو ذر والمقداد وسلمان وحذيفة وابن مسعود وعمار وبلال .

ذكر العشرة المشهود لهم بالجنة

الخلفاء الأربعة ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبد الله ، وسعد بن زيد ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، رضى الله عنهم أجمعين .

ذكر دوابه على خلاف بزيادة أو نقصان

وهى السكب وكان عليه يوم أحد وكان أغر محجلاً طلق اليمين ، والمرتجز وهو الذى شهد له به خزيمة بن ثابت ، ولزاز الذى أهداه له المقوقس واللحيق أهداه له ربيعة بن أبى البراء ، والطرب

(١) فاسلم فى الأصل .

(٢) مارية ساقطة فى الأصل .

أهداه له فروة الجذامى ، والورد أهداه له تميم الدارى، والفرس ، وملاوح ، وسبحة اشتراه من تجار اليمن فسبق عليه ثلاث مرات فمسح عليه الصلاة والسلام على وجهه وقال ما أنت إلا بحر ، ومن البغال ثلاثة الدلدل التى أهداها له المقوقس وهى أول بغلة ركبت فى سبيل الله تعالى ، وفضة استهبها من أبى بكر ، والأثلية أهداها له صاحب الأبلة ، وكان له حمار يقال له يعفور ، وأما النعم فلم ينقل أنه اقتنى من البقر شيئا ، وكانت له عشرون لقحة بالغابة ، وأرسل إليه سعد بن عبادة بمهرية من نعم بنى عقيل ، وكانت له القصوى ، وهى التى هاجر عليها ، وكان لا يحمله إذا نزل عليه الوحى غيرها ، قيل: وهى العضباء والجذعاء ، وهى التى سبقت فشق على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم حقاً على الله تعالى أن لا يرتفع بشىء من الدنيا إلا وضعه وقيل المسبوقة غيرها ، وكان له مائة من الغنم ، وكان له شاه تختص بشرب لبنها تدعى غيثة، وكان له ديك أبيض .

ذكر سلاحه ﷺ

وكان له تسعة أسياف ذو الفقار من غنائم بدر لبنى الحجاج السهميين ورأى عليه الصلاة والسلام فى النوم فى ذبابته ثلمة فأولها هزيمة فكانت يوم أحد وثلاثة أصابها من بنى قينقاع : القلعى والبتار والحنف ، وله المخدم ، والرسوب ، وآخر ورثه من أبيه ، والعضب اعطاه له سعد بن عبادة ، والقضيب وهو أول سيف تقلد به ﷺ ، وأربعة رماح المثنى وثلا من بنى قينقاع وعنزه تحمل بين يديه فى العيدين ، ومحجن قدر الذراع ومحصرة تسمى العرجون ، وقضيب يسمى الممشوق ، وكان له أربعة قس وجعبة وترس عليه تمثال عقاب أهدى له فوضع يده على العقاب فذهب فقال أنس بن مالك :كان نصل سيفه ﷺ فضة وقنبعته فضة وما بين ذلك حلق الفضة ، وكان له درعان أصابهما من سلاح بنى قينقاع هما السعدية وفضة ، ودرع تسمى ذات النضول لبسها يوم حنين ، ويقال كانت عنده درع داود عليه السلام التى لبسها لما قتل جالوت وكان له مغفرة يقال لها السبوع وبنانه من أديم مبثور فيها ثلاث حلقات فضة والأبزيم فضة والطرف فضة وكان له لواء أبيض .

ذكر أثوابه وأثاثه ﷺ

ترك ﷺ يوم مات ثوبى حبرة ، وإزاراً عمانياً ، وثوبين صحاريين ، وقميصاً صحارياً ، وآخر سحولياً ، وجبة يمنية ، وخميصة ، وكساء أبيض ، وقلانس صغار لاطية ثلاثة أو أربعة ، وملحفة مورسة ، وكانت له ربعة فيها مرآة ومشط ساج ، ومقراض ، وسواك ، وكان له فراش من أدم حشوه ليف، وقدح مضبب بفضة فى ثلاث مواضع ، وقدح آخر ، وثور من حجارة ، ومخضب من شب يعمل فيه الحنة ، والكتن ويوضع على رأسه إذا وجد فيه حرارة ، وقدح من زجاج ، ومغتسل من ضفر وقصعة ، وصاع يخرج به زكاة الفطر ، ومد ، وسرير ، وقطيفة ، وخاتم من فضة

نفشه محمد رسول الله وقيل أنه كان من حديد ملوى بفضة ، وأهدى له النجاشي خفين سارحين فلبسهما ، وكان له كساء أسود وعمامة يقال لها السحاب فوهبها عليا فربما قال إذا رآه مقبلا وهي عليه أتاكم عليّ في السحاب ، وكان له ثوبان للجمعة غير ثبابه التى يلبسها فى سائر الأيام ومنديل يمسح به وجهه من الوضوء .

ذكر نبذ من معجزاته ﷺ

منها القرآن وهو أعظمها ، وشق الصدر ، وإخباره عن بيت المقدس ، وانشقاق القمر ، وكان الملأ من قريش قد (١) تعاقدوا على قتله فخرج عليهم فخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم فى صدورهم وأقبل حتى قام على رؤوسهم وقبض قبضة من تراب وقال شاهت الوجوه وحصبهم فما أصاب رجل منهم من تلك (٢) الحصباء إلا قتل يوم بدر ، ورمى يوم حنين بقبضة من تراب فى وجوه القوم فهزمهم الله تعالى ، ونسج عليه العنكبوت فى الغار ، وما كان من أمر سراقة بن مالك إذ أتبعه فى الهجرة فسلحت قوائم فرسه فى الأرض الجلمد ، ومسح على ظهر عناق لم ينز عليها الفحل فدرت ، وشاة أم معبد ، ودعوته لعمر أن يعم الله به الإسلام ، ودعوته لعلى أن يذهب عنه الحر والبرد ، وتفل فى عينه وهو أرمد فعوفى من ساعته ولم يرمد بعد ذلك ، ورد عين قتادة بن النعمان بعد أن سالت على خده فكانت أحسن عينيه وأحدّ ، ودعى لعبد الله بن عباس بالتأويل والفقه فى الدين ، ودعى لجمل جابر فصار سابقاً بعد أن كان مسبوقاً ، ودعى لأنس بطول العمر وكثرة المال والولد ، وفى تمر جابر بالبركة فأوفى غرماؤه وفضل ثلاثة عشر ، وسقى واستسقى عليه السلام فمطروا أسبوعا ، ثم استصحى لهم وانجابت السحاب ، ودعى على عتبة بن أبى لهب فأكله الأسد بالزرقا من الشام ، وشهدت له الشجرة بالرسالة فى خبر الأعرابى الذى دعاه إلى الإسلام فقال : من يشهد لله على ما تقول فقال : هذه الشجرة ، ثم دعاها فأقبلت واستشهدها فشهدت أنه كما قال ثلاثا ثم رجعت إلى منبتها (٣) ، وأمر شجرتين فاجتمعا ثم افترقا ، وأمر أنس أن ينطلق إلى نخلات فيقول لهن أمركن رسول الله ﷺ أن تجتمعن فاجتمعن فلما قضى حاجته أمره أن يأمرهن بالعود إلى أماكهن فعدن ، ونام فجاءت شجرة تشق الأرض حتى نامت عليه فلما استيقظ ذكرت له فقال هى شجرة استأذنت ربها فى أن تسلم عليّ فأذن لها ، وسلم عليه الشجر والحجر ليالى بعث السلام عليك يارسول الله ، وقال ابن لأعرف حجراً كان بمكة يسلم على قبل أن أبعث ، وحن الجذع وسبح الحصى فى كفه ، وكذلك الطعام ، وأعلمته الشاة بسمها ، وشكى إليه البعير قلة العلف وكثرة العمل ، وسألته الظبية أن يخلصها من الحبل لترضع ولدها ، وتعود فخلصها فلفظت بالشهادتين ، وأخبر عن مصارع المشركين يوم بدر فلم يعد أحد منهم مصرعه ،

(١) قد أضفتها ليستقيم المعنى . (٢) ذلك فى الأصل .
(٣) هذه العبارة محرفة فى الأصل وصححتها من كتاب الشفاء للقاضي عياض .

وأحبر أن طائفة من أمته يغرون فى البحر وأن أم حرام بنت ملحان منهم فكان كذلك ، وقال لعثمان :تصيبه بلوى شديدة فكانت ، وقيل قال للأنصار : إنكم ستلقون بعدى أثره فكانت زمن معاوية ، وقال للحسن إن إبنى هذا سيد وأن الله سيصلح به بين فئتين من المسلمين ، وأخبر بقتل العتبى الكذاب وهو بصنعاء ليلة قتله وبمن قتله ، وقال لثابت بن قيس تعيش حميداً وتقتل شهيداً فقتل يوم القيمة ، وارتد رجل ولحق بالمشركين فبلغه أن مات فقال إن الأرض لاتقبله فكان كذلك ، وقال لرجل يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال لا استطعت فلم يطق أن يرفعها إلى فيه بعد ، ودخل مكة عام الفتح والأصنام حول الكعبة معلقة وبيده قضيب فجعل يشير إليها ويقول جاء الحق وزهق الباطل وهى تتساقط وشهد الضب بنبوته ، وأطعم الفاً جياعاً من صاع شعير بالخندق فشبعوا والطعام أكثر مما كان ، وأطعمهم من تمر يسير ، وجمع فضل الأزواد عن النطح فدعا لها بالبركة ثم قسمها فى العسكر فقامت بهم ، وأتاه أبو هريرة بثمرات قد صفهن فى يده وقال : ادع لى فيهن بالبركة ففعل قال أبو هريرة فأخرجت من ذلك التمر كذا وكذا وسقا فى سبيل الله وكنا نأكل منه ونطعم حتى انقطع فى زمن عثمان ، ودعى أهل الصفة لقصعة ثريد قال أبو هريرة فجعلت أتطاول ليدعونى حتى قام القوم وليس فى القصعة إلا اليسير فى نواحها فجمعه رسول الله ﷺ فصار لقمة فوضعها رسول الله ﷺ على أصابعه وقال كل باسم الله فو الذى نفسى بيده مازلت آكل منها حتى شبعت ، ونبع الماء من بين أصابعه حتى شرب القوم وتوضوءا وكانوا ألفاً وأربعمائة ، وأتى بقدح من ماء فوضع أصابعه فى القدح فلم تسع فوضع أربعة منها وقال هلموا فتوضوءا أجمعون وهم من السبعين إلى الثمانين ، وورد فى غزوة تبوك على ماء لا يروى واحداً والقوم عطاشاً فشكوا إليه فأخذ سهما من كنانته فغرسه ففار الماء وارتوى القوم وكانوا ثلاثين ألفاً ، وشكى اليه قوم ملوحة مائهم فجاء فى نفر من أصحابه حتى وقف على بئرهم وتفل فيها فتفجر بالماء العذب العين ، « وأتته إمرأة بصبى لها أقرع فمسح بيده على رأسه فاستوى شعره وذهب داؤه، فسمع أهل اليمامة بذلك فأتت امرأة » إلى مسيلمة بصبى ليمسح رأسه فصلع وبقى فى نسله وانكسر سيف عكاشة يوم بدر فأعطاه جذلا من حطب فصار فى يده سيفاً ولم يزل بعد ذلك عنده ، ومسح على رجل أبى رافع وقد انكسرت فكأنه لم يشكها قط ، ومعجزاته ﷺ أكثر من أن يحصرها كتاب أو يجمعها ديوان .

ذكر وفاته ﷺ

وقد بلغ من العمر ثلاثاً وستين سنة وقيل غير ذلك يوم الأثنين حين اشتد الضحى لثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ومرض أربعة عشر يوماً ودفن ليلة الأربعاء ولما حضره الموت كان عنده قدح فيه ماء فجعل يدخل يده فيه ويقول اللهم أعنى على سكرات الموت ، وسجى ببردة حبرة ، وقيل أن الملائكة سجته ، وكذب بعض أصحابه بموته دهشة ، يحكى عن عمر وأخر عن عثمان وأقعد على ولم يكن فيهم أثبت من العباس وابوبكر ، ثم إن الناس سمعوا صوتاً من باب الحجرة

لاتغسلوه فإنه طاهر مطهر ثم سمعوا بعد ذلك اغسلوه فإن ذلك ابليس وأنا الخضر وعزاهم فقال إن فى الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركا من كل فايت فبالله فثقوا واياه فارجوا فإن المصاب من حرم المصاب ، واختلفوا فى غسله هل يكون فى ثيابه أو يجرد عنها فوضع الله عليهم النوم فقال قائل لايدرى من هو اغسلوه فى ثيابه فانتبهوا وفعلوا ذلك والذين ولوا غسله على والعباس وولداه الفضل وقثم واسامة وشقران مولياه وحضرهم ابن خولى من الأنصار ، ونفضه على فلم يخرج منه شيء ، رضى الله عنه ، لقد طبت حيا وميتاً ، وكفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة بل لفائف من غير خياطة وصلى عليه المسلمون أفرادا لم يؤمهم أحد ، وفرش تحته فى القبر قطيفة حمراء كان يتغطى بها نزل بها شقران وحفر له وألحد وأطبق عليه تسع لبنات واختلفوا أيلحد ام يضرح وكان بالمدينة حفاران أحدهما يلحد وهو أبو طلحة (١) ، والآخر يضرح وهو أبو عبيدة (٢) ، فانفقوا إن من ياتى منهما أولاً عمل عمله فجاء الذى يلحد فلحد له، ودفن فى بيت عائشة رضى الله تعالى عنها ودفن معه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وعن بقية الصحابة أجمعين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

ذكر الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين

أولهم الخليفة على التحقيق أبو بكر واسمه عبد الله بن أبى قحافة يلتقى مع النبى ﷺ فى مرة بن كعب وهو قرشى تيمى ولى الخلافة عام أحد عشر (٣) ، من الهجرة وتوفى ليلة الثلاثاء ثانى عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين ومدة خلافته سنتان وستة أشهر وعلى زمنه كان قتال أهل الردة رضى الله عنه (٤) ، ثم ولى الخلافة بعده الإمام الأواب أبو حفص عمر بن الخطاب يجتمع نسبه مع النبى ﷺ فى كعب ولى الخلافة يوم توفى أبوبكر سنة ثلاث عشرة من الهجرة وحصل فى زمنه الفتوحات العظيمة على أهل الإسلام وفتح العجم وبيت المقدس والشام وجهز جيشاً عظيماً وجعل أميره عمرو بن العاص إلى مصر فى أثنى عشر ألفاً منهم أربعة آلاف من الصحابة والباقى من التابعين فقاتل أهلها وحاصرهم إلى أن فتحها الله عليهم يوم الجمعة مستهل شهر الله الحرام سنة عشرين من الهجرة ، وأقامت الصحابة بعد فتحها تسعين سنة الى سنة ستة عشر ومائة من الهجرة وهى آخر قرن الصحابة يترددون إليها فوجا بعد فوج خصوصاً حين قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وهلم جرا ، قال الحافظ السيوطى رحمه الله وقد تتبعت من

---

(١) ابن طلحة فى الأصل ، وهو أبو طلحة بن سهل الأنصارى كما فى كتاب الوفاة للنسائى .

(٢) ابن عبيدة فى الأصل ، وهو أبو عبيدة بن الجراح الذى كان يضرح فى مكة .

(٣) احدى عشرة فى الأصل .

(٤) عنهما فى الأصل .

دخل مصر من الصحابة المعروفين بأسمائهم فوقفت على ثلاثمائة وأربعين صحابياً ودفن بها منهم خمسة من الصحابة ومن أراد الوقوف على أسمائهم فليطالع كتاب در السحابة فى من دخل مصر من الصحابة للحافظ السيوطى فإن هذا المختصر يضيق عن ذكرهم ، وتوفى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم الأربعاء سادس عشر ذى الحجة (١) الحرام سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وله من العمر ثلاث ستون سنة مات شهيداً طعنه اللعين أبو لؤلؤة غلام المغيرة ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر، ثم تولى الخلافة بعده ذو النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه ويجتمع نسبه مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جده عبد مناف ، تولى الخلافة أول محرم سنة أربع وعشرين للهجرة ثم سارت (٢) إليه طائفه من مصر واتفقوا مع أناس من أهل المدينة على قتاله فحاصروه ثم قتله رجل من أهل مصر من كندة يقال له أسود بن ضمران يكنى أبا رومان ويلقب بالحمار وكان أشقر أزرق فقتل فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة وعاش من العمراثنين وثمانين سنة ودفن بالبقيع رضى الله عنه ومدة خلافته اثنتى عشرة (٣) سنة ، ثم ولى بعده الخلافة أسد الله الغالب على بن أبى طالب كرم الله وجهه بويع له بالخلافة صبيحة قتل عثمان ومدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر توفى رضى الله عنه شهيداً ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة إحدى وأربعين من الهجرة وقتله عبد الرحمن بن ملجم وخلف من الأولاد الذكور أربعة عشر ولدا ولم يعقب منهم إلا خمسة وهم الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعمر والعباس، ولما توفى رضى الله عنه بايع الناس بالخلافة إبنه الإمام أبى محمد الحسن بن على رضى الله عنهما وأول من بايعه أهل الكوفة فأقام ستة أشهر وأياما ثم سار إلى معاوية والتقى معه على الأبنار ثم كان الصلح بينهما فسلم الأمر لمعاوية وفرغ له عن الخلافة ثم أتى المدينة فسكنها واعتزل الناس ولم يسلم منهم بل قتلوه مسموما خامس ربيع الأول سنة خمسين من الهجرة وله من العمر ست وأربعون سنة ودفن بالبقيع وكان مولده فى منتصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة رضى الله عنه، ثم الإمام أبى عبد الله الحسين بن على رضى الله عنهما ، ولد لخمس من شعبان سنة أربع من الهجرة ، وتولى الخلافة رضى الله عنه بمبايعة أهل الكوفة وأرسلوا له فى طلبه فلما دخل إليهم لم يفوا بما عاهدوه ولما وصل إلى الأرض المعروفة بكر بلاء جهز له يزيد بن معاوية جيشاً فالتقى معهم بكربلاء وقاتلهم قتالاً شديداً إلى أن قتل رضى الله عنه يوم الجمعة العاشر من شهر محرم الحرام سنة إحدى وستين من الهجرة وله من العمر أربع وخمسون سنة ، وحملت رأسه إلى يزيد فطافوا بها دمشق الشام وأعمالها ثم ألقيت

---

(١) اختلف المؤرخون فى وفاة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد ورد فى كتاب الرياض النضرة فى مناقب العشرة للمحب الطبرى أنه توفى لأربع بقين من ذى الحجة ، وفى كتاب موردا اللطافة لابن تغرى بردى أنه توفى مستهل المحرم سنة ٢٤ هـ .

(٢) سارة فى الأصل

(٣) اثنى عشر فى الأصل .

فى خزانة السلاح إلى أن تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك فأخرجها وكفنها وغسلها ودفنها بمدينة عسقلان فلم تزل هناك إلى أن تغلب الفرنج على ساحل الشام وأخذوا بيت المقدس وما والاه فى الدولة العبيدية فأرسل الفائز العبيدى للفرنج يسألهم فى أن يعطوه رأس الإمام الحسين وأرغبهم بالأموال فأخذوا منه ثلاثين ألف دينار ومكنوه من أخذها على يد رسله فأخرجوها وحين وصلوا إلى غزة أرسلوا رسولاً إلى الخليفة فجهز الخليفة أعيان دولته من العبيدين وأهل مصر لاستقبال الرأس الشريف ووضعوها فى طست من ذهب وغطوها بالديباج ومشوا أمامها مكشوفين الرؤوس حفاة إلى أن قدموا به مصر ودفنوه من المحل المعروف الآن بالمشهد الحسينى بقرب دور الفاطميين وذلك فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وكان الخليفة ببغداد المقتفى لأمر الله محمد بن المستظهر ، وخلف الحسين من الأولاد على الأكبر وعلى الأصغر وجعفر وفاطمة وسكينة مدفونة بالقاهرة فى الخط (١) المعروف بالمراغة بقرب السيدة نفيسة رضى الله عنهم .

ذكر الأئمة الأربعة المجتهدين أصحاب المذاهب رضى الله تعالى عنهم

أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى ولد سنة ثمانين من الهجرة ٦٩٩م وتوفى ببغداد سنة مائة وخمسين هـ/٧٦٧م وهو ابن سبعين وأدرك أربعة من الصحابة رضى الله عنهم ، ثم الإمام مالك بن أنس ومولده سنة ثلاث وتسعين ووفاته سنة تسع وسبعين ومائة ودفن بالبقيع ، ثم الإمام محمد بن إدريس بن عباس بن عثمان بن شافع بن ثابت وهو يلتقى نسبه مع النبى ﷺ فى جده شافع ، ولد بغزه سنة مائة وخمسين وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين وعاش من العمر أربعا وخمسين سنة ثم رحل إلى مصر فى سنة مائة وتسع وتسعين فأقام بها أربع سنين وتوفى بها ليلة الجمعة بعد المغرب سنة أربع ومائتين هـ/ ٨١٩م ثم الإمام أحمد بن حنيل ومولده سنة أربع وستين ومائة وتوفى ببغداد سنة إحدى وأربعين ومائتين هـ/ ٨٥٥م وحصر من حضر جنازته من المسلمين ألفى ألف وخمسمائة ألف وأسلم يومئذ عشرون ألفا من اليهود والنصارى رضى الله عنهم أجمعين .

ذكر المشايخ الأربعة أصحاب الطريق

فأولهم الشيخ عبدالقادر الكيلانى أبو صالح بن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، ولد رضى الله عنه عام سبعين وأربعمائه هـ/ ١٠٧٧م وتوفى عام احدى وستين وخمسمائة هـ/ ١١٦٦م ودفن ببغداد ، ثم الشيخ أحمد بن الحسين الرفاعى نسبة

(١) الحد فى الأصل .

إلى بنى رفاعة قبيلة من العرب سكن أم عبيدة بأرض البطايح وبها مات يوم الخميس وقت الظهر سنة سبعين وخمسمائة هـ/ ١١٧٤م ودفن فى قبر الشيخ يحيى البخارى رضى الله عنه ، ثم الشيخ أحمد أبو العباس البدوى الشريف العلوى ، مولده بفاس من أرض المغرب (١) ، لأن أجداده انتقلوا إليها أيام الحجاج لما كثر القتل فى الشرفا (الأشراف) ولما بلغ من العمر سبع سنين انتقل أبوه به وبأخوته إلى مكة وذلك عام ثلاثة وستمائة ١٢٠٧م لما توفى أبوه بمكة سافر سيدى أحمد إلى العراق فاجتمع بمشايخها ثم دخل إلى مصر سنة أربع وثلاثين وستمائة هـ/ ١٢٣٧م وأقام ببلده طندتا بالغربية ومات بها سنة ستمائة وخمس وسبعين هـ/١٢٧٦م وقبره بها وهو غنى عن التعريف ، ثم الشيخ ابراهيم القرشى الدسوقى ينتهى نسبة إلى الحسين بن على رضى الله عنه فهو قرشى هاشمى ، ولد سنة ثلاث وثلاثين وستمائة هـ/ ١٢٣٦م وتفقه على مذهب الإمام الشافعى ثم سلك طريق التصوف وتوفى سنة تسع وسبعين وستمائة هـ/ ١٢٨٠م وله من العمر ثلاث وأربعون سنة وقبره بقرية دسوق مقصود للزيارة رضى الله تعالى عنه .

رجع ما انقطع من أخبار مصر

قال أبو الصلت (٢) : وأما أهل مصر فالغالب على طبعهم إتباع الشهوات والانهماك فى اللذات والاشتغال بالترهات (٣) ، والتصديق بالمحالات ، وعندهم الملق والبشاشة وفيهم الفطنة واللطاقة ورقة الطبع وعدم الغيرة وحسن الخلق ، وعندهم الخوف والجبن والقنوط وعدم الصبر على الشدائد وعندهم المكر والحيل والخداع والتحاسد وفيهم الكذب وذم الناس والسعى إلى السلطان وليس هذا عام فيهم بل يوجد فى أكثرهم، ومنهم من خصه الله بالفضل وحسن الخلق وقيل أن أهل مصر يتحدثون بالأشياء قبل وقوعها وينذرون منها بالمستقبل ولهم فى هذا الباب أخبار مشهورة وقال بعض الحكماء : سبب ذلك إن منطقة الجوزاء تسامت رؤوس أهل مصر فلذلك يتحدثون بالأشياء قبل كونها .

ومن أخلاقهم الإعراض عن النظر فى عواقب الأمور فلا تجدهم يدخرون عندهم زاداً كما هى عادة غيرهم من أهل الأقاليم بل يتناولون أغذيتهم كل يوم من الأسواق بكرة وعشياً ، وقال بعض الحكماء فضلت مصر على سائر البلاد بأربعة أشياء : بعسلها ومائها ولحومها وحبوبها ، قال بعض الحكماء : من أراد أن ينظر إلى شبيه الجنة فى الدنيا فلينظر إلى مصر فى زمن ربيعها قبل طلوع الشمس إذا أزهرت أشجارها وأطردت أنهارها وغنت أطيارها وتهدلت ثمارها وأرتفع وباؤها وفاض

(١) الغرب فى الأصل .

(٢) هو الاديب أبو الصَّلت أمية بن عبدالعزيز المولود فى مدينة دانية من بلاد الاندلس سنة ٤٧٠ هـ وقدم الى مصر سنة ٤٨٩ هـ وتوفى بالمهدية فى تونس سنة ٥٢٨ هـ وقد وصف أبو الصلت مصر وأهلها فى رسالة سماها الرسالة المصرية منها الفقرة المذكورة أعلاه .

(٣) بالتزهات فى الأصل والتصحيح من الرسالة المصرية تحقيق عبدالسلام هارون

خيرها وغاض شرها .

وقال القضاعي : وبمصر من العجائب عشرون أعجوبة منها الهرمان اللذان بالجيزة ومنها الصنم المسمى بأبى الهول قبل أنه طلسم للرمل لئلا يغلب على أرض الجيزة ، ومن ذلك بربا سمنود قال القضاعى رأيت جماعة من العمال وقد خزنوا فيه قرظا فرأيت الجمل إذا دنى من بابها وأراد أن يدخل إلى البربا سقط كل ديب كان على ظهر الجمل من القرظ ولم يدخل منه شيء إلى البربا وخربت هذه البربا بعد الخمسين وثلثمائة هـ/ ٩٦١م ومنها بربا إخميم وما فيها من الصور العجيبة من صور الملوك الذين يملكون « مصر، ومنها بربا دندرة؛ قيل أن فيها ثلثمائة وستون كوّة فتدخل» الشمس كل يوم منها فى كوة فلا تنتهى إلى آخرها إلا عند تم السنة ثم تعود راجعة إلى الموضع الذى بدأت منه فى الأول ، ومنها حائط العجوز وهى سور محيط بأرض مصر من جهة الشرق والغرب على جبليها وهى ممتدة من العريش إلى أسوان ، ومنها مدينة الاسكندرية وبها المنارة وعمود السوارى والملعب الذى كان يجتمع فيه الأقباط فى يوم معلوم من السنة ويترامون بالكرة فلا تقع فى حجر أحد من الحاضرين إلا ملك مصر ولو بعد حين ومنها شعب [(١)] البوقيرات وهو صدع فى جبل بصعيد مصر يعرف بجل الطير تأتيه البوقيرات « فى يوم معلوم من السسة فتعرض أنفسها على ذلك الصدع وتضر به » بمناقيرها ولا تزال تفعل ذلك حتى يقبض الصدع على منقار واحد منها فإذا تعلق انصرف بقية الطير عنه فلا يزال معلقاً بمنقاره حتى يضمحل ويفنى ، ومها عين شمس التى بالمطرية[(٢)] . وهى هيكل الشمس وبهما العمودان طولهما نحوا من خمسين ذراعا وهما محمولان على وجه الأرض وكان فيهما صورة إنسان على دابة تراه منهما واضحا يجرى من أسفلها إلى أعلاها فإذا حلت الشمس أول دقيقة من برج الجدى انتهت إلى الجنوبى

---

(١) سعب فى الأصل .

(٢) عين شمس : مدينة مصرية قديمة كانت تسمى أون أى مدينة الشمس حيث كانت مركزاً لعبادتها ، وتعتبر عين شمس اقدم جامعة علمية فى العالم ، وكانت بها عين ماء معروفة فسماها العرب عند فتحهم لمصر عين شمس ، وكانت عين شمس مقصد الرحالة والمؤرخين لتاريخها القديم لما حوته من آثار تليدة مازال منها مسلة سوسرت الأول ، وقد اسفرت الحفائر هناك عن آثار كثيرة من معابد ومساكن وتماثيل جميع الفترات التاريخية لمصر ، وتمثل عين شمس الآن المنطقة المحصورة بين المطرية جنوباً وعزبة النخل شمالاً ، ولها محطة على سكة حديد حلوان . والمطرية : هى الامتداد الجنوبى لعين شمس ، وقد ورد ذكرها فى معجم البلدان لياقوت الحموى حيث قال : إنها من قرى مصر وبأرضها يزرع شجر البلسان ويستخرج منه الدهن الطبى "ووردت المطرية فى التحفة السنية لابن الجيعان بأنها من ضواحى مصر ، وذكرها المقريزى باسم منية مطر وكانت المطرية ونواحيها من أنزه الأماكن بمصر ، وكان التنزه بها من شعائر ورسوم الدولتين الفاطمية والمملوكية ، وكانت المنطقة جديرة بمكانتها المرموقة لأن مساحتها الكبيرة الممتدة من حدائق القبة جنوباً حتى عين شمس شمالاً كانت عبارة عن بساتين وحقول زراعية يجرى بأرضها الخلجان والترع والبرك وأهمها خليج الزعفران إلى جانب شهرتها العالمية عما حوته من مقدسات ورموز مسيحية مثل شجرة مريم وبئر وبستان البلسان وكنيسة العذراء وبالإضافة لذلك فإنها محطة واستراحة الذاهبين والعائدين من وإلى الشام ومكان استقبال الرسل والضيوف ، ويذكر الرحالة أن الطريق من القاهرة إلى المطرية كان مليئاً بالقصور الفخمة والاستراحات الجميلة على الجانبين التى تمثل دور ضيافة خاصة بكبار الأمراء وقد حرص الرحالة العرب والأجانب على زيارة المطرية خلال رحلاتهم إلى مصر وذلك لشهرة شجر البلسان بها الذى يستخرج منه دهن البلسم الذى لا مثيل لجودته فى جميع أنحاء العالم ، وترجع اهميته لاستخدامه الكهنوتى والطبى فى الأقطار المسيحية .

منهما فلا تزال بينهما ذاهبة وراجعة لطول السنة ، « ومنها حجارة بأرض الصعيد إذا مسكه شخص بإحدى يديه تقيأ كل ما فى بطنه ، ومنها خرزة إذا جعلتها المرأة على حقوها لا تحمل أبداً ، ومنها حوض عند قرية طرا وكان من الرخام الأبيض وعليه كتابة بقلم الطير فى البحر يركب فيه الواحد أو الأربعة ويحركوه فيقطع بهم النيل إلى الجانب الآخر واستمر إلى أيام كافور الإخشيدى فأخرجه من البحر ثم أعادة فبطل عمله ، ومنها شجرة سنط بالصعيد بقرية يقال لها بر شنا إذا تهددت بالقتل ذبلت وتجمعت أوراقها فإذا قيل لها قد عفونا عنك تراجعت إلى حالتها الأولى .

ومن عجائب مصر المقياس (١)

وكان بها قبل ذلك عدة مقاييس فكان المقياس فى زمن دلوكا بإخميم فلم يزل العمل عليه إلى أن فتحت مصر على يد عمرو بن العاص فبنى مقياسا بأرض أسوان وفى زمن معاوية اتخذ مقياسا بأرض أنصنا إلى زمن عبد العزيز بن مروان فبنى مقياسا بحلوان ثم بنى أسامة بن زيد مقياسا بالجزيرة ثم جدده الخليفة جعفر المتوكل على الله العباسى وهو الموجود الآن وسماه بالمقياس الجديد وهو الذى عليه العمل الآن وكانت عمارته فى سنة سبع وأربعين ومائتين هـ / ٨٦١م وجعل عليه عبد الله بن عبد السلام بن أبى الرداد البصرى (١) ، وهو إلى الآن بيد ذريته يتداولونه بينهم ، وفى المقياس يقول الشهاب المنصورى :

---

(١) المقياس من المنشآت الهامة المتصلة بحضارة مصر لقياس مناسيب المياه فى نهر النيل لعلاقتها الوثيقة بالزراعة وجباية الخراج ، والمقاييس فى مصر معروفة منذ أيام الفراعنة ، وبنى عدة مقاييس فى الإسلام أهمها وأخلدها المقياس الحالى فى الطرف الجنوبى لجزيرة الروضة ، وقد بنى سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م بأمر الخليفة المتوكل على الله العباسى على يد أحمد بن محمد الحاسب ، وقد رمم عدة مرات منها ترميم أحمد بن طولون سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٣ م . وترميم بدر الجمالى سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧ م أيام الخليفة المستنصر الفاطمى ، والتكوين المعمارى لمبنى المقياس أو دار المقياس كما كان يسميه المؤرخون عبارة عن بئر عميقة تحوى العديد من العناصر والوحدات المعمارية والكتابية يتوسطها عمود المقياس ، والبئر عمقه ١٢ متراً وعرضه ٦,٢٠ متر ، ذو ثلاث مستويات السفلى على هيئة دائرة والأوسط والعلوى مربعين وهو مبنى من الحجر المنحوت ويتخلل جدران البئر فى الثلاث مستويات السابقة ثلاث فتحات معقودة يعلوا بعضها بعضاً ، كما تصل البئر بالنيل لدخول الماء اليه ، بالإضافة إلى وجود دخلات مصمتة ذات عقود مدببة وأعمدة ركنية ملتصقة بنواصى هذه الدخلات كما يتضمن جدران البناء أشرطة من كتابات كوفية محفورة فى الحجر عبارة عن آيات قرآنية تتصل بالزرع والماء .

أما عمود المقياس الحالى فيعتبر العنصر الرئيسى فى المقياس وهو عبارة عن عمود رخامى أبيض مثمن الشكل وضع فى وسط بئر المقياس الذى ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه وطوله ١٠,٥٠ متر ومقسم إلى أذرع وقراريط مبينه بحزوز محفورة فى العمود لتعيين مناسيب الماء وعددها ١٦ ذراعاً (الذراع ٥٤,١ سم) والأذرع الست السفلى غير مقسمة والعشر العليا مقسمة على مبيا إلى ٢٤ قيراطاً ، هذا وقد ثبت العمود على طبلية خشبية مستديرة من جذوع الشجر الضخمة ، ويوجد درج سلم يوصل إلى القاع يجرى حول حوائطه الداخلية ، ومقياس النيل يحتوى على أقدم أمثلة للكتابة الكوفية على العمائر الإسلامية بمصر ، وكذلك العقود المدببة التى تتوج الدخلات الأربعة الغائرة فى جوانب المستوى العلوى من البئر تعتبر أقدم أمثلة هذا النوع فى مصر .

تقـول لنا مصـر أنا خير موطن ... ولا ناس فى الأمصار أظرف من ناس .
فإن تلك أوقات السرور قصيرة ... فـلا تقطعـوهمـا فىّ إلا بمقيـاس .

والنيل يبتدىء بالزيادة فى أواخر بؤونة إلى سابع عشر توت وهى الليلة المعروفة عند الأقباط بعيد الصليب فتنتهى الزيادة ويأخذ فى النقص فيزرع أهل مصر ، وبمصر تربة القرافة وكانت مقابر أهل مصر فى قديم الزمان تحت سفح الجبل المقطم ثم اتخذ الناس قبورهم بجوار قبة الإمام الشافعى(٢)، وسموا الأولى بالقرافة الكبرى وهذه بالصغرى وبها من الأماكن المشهورة المخصوصة بالزيارة قبر عقبة بن عامر الجهنى الصحابى رضى الله عنه وقبر الإمام محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه وقبر سلطان العشاق سيدى عمر بن الفارض وقبر القاضى بكار بن قتيبة وقبر الإمام الليث بن سعد رضى الله عنهم ، وبها من العلماء ما لا يوجد فى غيرها وعمر بها فى الدولة التركية الترب الجليلة والخوانق والمدارس والدكاكين والطواحين والأفران حتى صارت العمارة فيها من بركة الحبش (٣) ، إلى باب القرافة(٤) ، ولم تزل العمارة تتجدد فيها إلى سنة ثلاثين وسبعمائة هـ/ ١٣٣٠م إلى أن ظهرت بها القطرية فكانت تنزل من الجبل ليلا لتخطف أولاد الناس فرحل أكثرهم حوفاً على أولادهم وسكنوا القاهرة فتلاشى أمرها وفيها قال بعضهم :

إذا ما ضاق صدرى لم أجدلى ... مقر عبادة إلا القرافـة
لئن لم يجبر المولى انكسـارى ... وقلة ناصرى لم ألق رأفة

(١) ابن أبى الرداد ، هو أو مسلم يتولى قياس النيل بالمقياس حيث كان أقباط مصر هم الذين يتولون قياس النيل حتى عام ٢٤٧ هـ حتى بنى الخليفة المتوكل على الله العباسى « مقياس » الروضة فامر بعزل الأقباط عن ولاية المقياس وأمر أن يتولاه مسلم فتم اختيار ابن أى الرداد واسمه عبد الله بن عبد السلام بن أبى الرداد المؤدن ، وأجرى عليه صاحب خراج مصر آنذاك راتباً شهرياً قدرة سبعة دنانير ، ولما توفى سنة ٢٦٦هـ / ٨٧٩ م ظل هذا المنصب متوارثاً فى عائلته حتى أن "على باشا مبارك" يذكر أن بعض القياسين فى زمنه يذكرون أنهم من سلاسلة ابن أبى الرداد ، وقد كان العائلة ابن أبى الرداد مكانة كبيرة فى العصر الفاطمى إذا كانوا يشتركون فى مراسم الاحتفالات وتجرى عليهم أرزاق كثيرة ويخلع عليهم الخلفاء الخلع السنة ، وظلت مكانتهم مرموقة فى العصر المملوكى ينعمون بالخلع والإنعامات من السلاطين والأمراء ولهم رواتب سنوية معلومة . انظر : اسماتى ، قوانين الدواد س ص ٧٦ ، المقريزى ، الخطط حـ١ ص ٧٥ ، ٤٧٧ ، السيوطى ، حسن المحاضرة حـ٢ ص ٣٧٥ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية حـ٣ ص ٢٩٤ .

(١) قبة الإمام الشافعى تحمل رقم ٢٨١ فى فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة وهذه القبة تاريخها ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م .والقرافة الكبرى هى المعروفة اليوم باسطبل عنتر ، والقرافة الصغرى هى المحيطة بقبة الإمام الشافعى وتمتد حاليا حتى ميدان السيدة عائشة بالقاهرة .

(٣) بركة الحبش كانت من متنزهات مصر الهامة ، وكانت عبارة عن أرض منخفضة تملأ بالماء فى أيام فيضان النيل عن طريق خليج بنى وائل ، وكان موقعها حتى منتصف هذا القرن يمثله أراضى زراعية فى زمام قرية دير الطين (دار السلام حالياً) وزمام قرية البساتين (حى البساتين حالياً) وتقدر هذه الأراضى بألفين ومائتى فدان ، وكانت البركة تجرى فى أوقاف السادة الأشراف أبناء الحسن والحسين ابنى سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجه .

(٤) باب القرافة يقع فى ميدان السيدة عائشة الآن بالقاهرة .

الباب الأول
فى ذكر من ملك مصر بعد الطوفان إلى أن فتحها المسلمون

ذكر الحافظ السيوطى فى حسن المحاضرة إن أول من ملكها بعد أن أغرق الله قوم نوح بيصر بن حام بن نوح وهو أبو القبط كلهم فسكن منفاً وهى أول مدينة عمرت بعد العرق سكنها هو وولده وهم ثلاثون نفساً ، قد بلغوا وتزوجوا فسميت البلد ماقة(١) ، ومعناه بلسان القبط ثلاثون ، وكان بيصر بن حام قد كبر وضعف وكان مصر أكبر ولده وهو الذى ساق أباه وإخوته إلى مصر فسميت مصر به مصراً ، فحازله ولولده ما بين الشجرتين حلف العريش إلى أسوان طولاً ومن برقة إلى أيلة عرضاً ، ثم لما توفى بيصر بن حام استخلف ابنه مصر فقسم مصر الأرض على إخوته بعد الذى حازه لنفسه منها ولولده ، فلما كثر ولد مصر وأولاد أولاده قطع لكل واحد من أولاده قطيعة يحوزها لنفسه ولولده ، وقسم لهم النيل فمن سكن ناحية سماها باسمه ، ثم لما مات مصر كتب على قبره مات مصر بن بيصر بن حام بن نوح بعد ألفين وستمائة عام من الطوفان ومات ولم يعبد الأصنام ولا عرف الهرم ولا الأسقام ، واستخلف بعده ابنه قبطيم وبه سميت قبط مصر القبط ، وهو الذى بنى الأهرام التى بدهشور ، وكان هود عليه السلام فى أيامه ، وعاش فى الملك أربعمائة وثمانين سنة ثم هلك ودفن بأرض الواحات ، « فاستخلف أخوه أشمن وسار شداد بن عاد إلى أشمن فملك » أرض مصر وهدم مبانيها وبنى أهراماً ومضى إلى موضع الإسكندرية فبناها وأقام دهراً ثم عاد الملك إلى اشمن وهو بانى الأشمونين محل ملكه وكان طولها أثنى عشر ميلاً فى مثلها ، ثم توفى فاستخلف أخوه أتريب وعاش من العمر خمسمائة سنة وكانت مدة ملكه ثلثمائة وستين سنة وحصل فى أيامه غلاء عظيم وهو أول غلاء وقع بعد الطوفان بمصر وسببه أن النيل توقف فلم يجر مدة ثمانى وأربعين سنة ورأيت فى نسخة مائة وعشرون سنة حتى أكلت الناس البهائم بأرض مصر ولم تبق بهيمة ومات عامة أهل مصر جوعاً ، ورؤى أتريب ماشياً ثم أضعفه الجوع حتى لم تبق به حركة سوى أنه يقبض يديه ويبسطها ، فلما اشتد الأمر عليه كتب إلى لاوذ بن سام بن نوح بذلك فكتب لاو إلى أخيه أرفخشذ بن سام فلم يجبه بشىء حتى بعث الله هوداً عليه السلام فكتب إليه أتريب يلتمس منه الدعاء برفع مانزل بأرض مصر فأجابه هود عليه

---

(١) مافيه فى الأصل والتصحيح من حسن المحاضرة .

السلام إنى أدعو لكم فى يوم كذا فانتظروا فيه جرى النيل فلما كان ذلك اليوم جمع أتريب من بقى بمصر من الرجال والنساء فدعوا وضجوا (١) بالدعاء وكان ذلك وقت انتصاف النهار فى يوم الجمعة فأجرى الله سبحانه وتعالى النيل فى تلك الساعة إلا أنه لم يكن عندهم مايزرعون فأوحى الله إلى هود عليه السلام أن أبعث إلى أتريب بمصر أن يأتى كهف جبلها ويحفر فى مكان كذا فكتب هود إلى أتريب يعلمه فجمع قومه وحفر فإذا عقود من الرصاص معقودة وتحتها غلال باقية فى سنبلها لم تدرس فمكثوا ثمانية أشهر فى نقلها وزرعوا وتقوتوا منها نحو خمس سنين ، ثم توفى أتريب فاستخلف من بعده أخوه صا ، وتوفى فاستخلف ابنه تدارس وفى زمنه بعث صالح عليه السلام وتوفى فاستخلف ابنه ما ليق تم ابنه خربتا(٢)، ثم ابنه كلكن فملك نحو مائة سنة ثم توفى ولم يخلف ولدا فاستخلف أخوه ما ليا تم ابنه طوطيس وهو الذى وهب هاجر لسارة زوج ابراهيم عليه السلام فلما أخرج إبراهيم هاجر وولدها اسماعيل إلى مكة بعثت إلى طوطيس تعرفه أنها بمكان جدب وتستغينه فعند ذلك أمر طوطيس بحفر خليج يتصل بالسويس وبعث إليها منه القمح فى السفن إلى بندر جدة فأحيا بلد الحجاز وهو أول من حفر خليج مصر وهو أحد الفراعنة السبعة ويقال له فرعون ابراهيم ، ولما هلك استخلف ابنته خروبه ولم يكن له ولد غيرها وهى أول إمرأة ملكت مصر ، ولما توفيت استخلفت ابنة عمها زالفة بنت ما يون بن ماليا فعمرت دهرا طويلا فكثروا وملكوا أرض مصر فطمعت فيهم العمالقة وهم قوم من ولد عملاق بن لاوذ بن سام فغزاهم الوليد بن دومغ فقاتلهم قتالاً شديداً ثم رضوا أن يملكوهم عليهم فملكوا نحوا من مائة سنة تم بدا له أن يسير إلى منتهى النيل فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه تم خرج فى جيش كثيف فلم يمر بأمة إلا أبادها وجاوز أمماً كثيرة ووصل إلى أرض الذهب ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحة التى ينصب فيها ماء النيل من الأنهار التى تخرج من تحت جبل القمر وسار حتى بلغ هيكل الشمس وتجاوزه حتى بلغ جبل القمر وإنما سمى جبل القمر لأن القمر لا يطلع عليه لأنه خارج خط الاستواء والنيل يخرج من تحته فأعمل الحيلة إلى أن صعد عليه ليرى ما خلفه فأشرف على البحر الأسود الزفتى المنتن فرأى النيل يجرى عليه كالأنهار الدقاق وهو مثل الفضة ولم يروا هناك شمسا ولا قمرا بل نور الرحمن عند عيابها ، ثم عاد إلى مصر فلما وصل إليها طغى وتكبر وأظهر الفاحشة فسلط الله عليه سبعاً افترسه وأكل لحمه ، ويقال أنه أذاه صرسه فنزعه فكان ثمانية عشر سناً وتلثى سن ، وأنه رئى بعد فتح مصر يوزن به فى ميزان الوكالة فلما هلك ملك (٣) من بعده ابنه الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف عليه السلام وأول من قاس النيل يوسف عليه السلام فى زمنه بمصر وبنى مدينة الفيوم فى سبعين يوماً فلما نظرها الملك قال لوزرائه هذا عمل ألف يوم فسميت

---

(١) صحوا فى الأصل .

(٢) جزبتا فى الأصل .

(٣) ساقطة فى الأصل

الفيوم ، وقال الكندى فى فضائل مصر : لو قايسنا بأنهار الفيوم أنهار البصرة ودمشق لكان لنا بذلك الفضل وليس فى الدنيا ما بنى بالوحى غير كورة الفيوم ، ثم لما مات الريان ملك من بعده ابنه دارم وفى زمنه توفى يوسف عليه السلام ثم أن دارم طغى وتجبر فأغرقه الله تعالى فى النيل فى ما بين طـره (١) إلى موضع حلوان ، ثم ملك بعده كاثم وقيل بالسين بن معدان ثم بعده فرعون موسى وهو الوليد بن مصعب بن ريان وهو أول دولة القبط وانقرضت دولة العمالقة ، وفرعون هذ هو الذى حفر خليج سردوس « وكان المباشر له هامان ولما ابتدأ حفره أتاه أهل القرى يسألونه » أن يجرى الخليج من تحت قريتهم وجعلوا له على ذلك مالاً فكان يذهب به إلى قرية نحو المشرق ثم يرده إلى قرية فى القبلة ويأخذ من أهل كل قرية مالاً حتى اجتمع له من ذلك نحو مائة الف دينار فحملها إلى فرعون فسأله عن سببه فأخبره بما فعل فى حفر الخليج فقال له ويحك ينبغى للسيد أن يعطف على عبيده ويفيض عليهم ولا يرغب من ما فى أيديهم ، رد على أهل كل قرية ما اخذت منه فرده كله عليهم ، فلا يعلم بمصر خليج أكثر عطوفاً منهم لما فعل هامان فى حفره ، وأقام فرعون فى الملك خمسمائة سنة أغرقه الله فى بحر القلزم وغرق معه من أشراف مصر وأكابرهم خلاف قومه أكثر من ألفى ألف فبقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من أشراف أهلها أحد ولم يبق بها إلا الأجراء والعبيد فأجمع رأى نقباء الأشراف أن يولون عليهن واحدة « فاتفقوا أن يملكوا دلوكة بنت زباء وهى التى بنت المقياس بأنصنا » وآخر بإخميم ، وكان لها عقل ومعرفة وتجارب فخافت أن يطمع فيها ملوك الأمصار فبنت حائطاً على جميع أرض مصر وهو المعروف بحائط العجوز وهو محيط بمدن مصر وقراها ومزارعها وجعلت عليه حرساً بالاسلحة على كل ثلاثة أميال حرس يحرسونه فمنعت بذلك من أرادها بسوء وفرغت من بنيانه فى ستة أشهر وهذا الحائط بقيت منه بقايا بالصعيد إلى الآن ، ثم أن دلوكة أرسلت إلى عجوز ساحرة يقال لها تدوره (٢) وكانت السحرة تعظمها فقالت لها إن فرعون كان يحتاج إليك فاصنعى لنا شيئاً نغلب به من حولنا فعملت لها بربا (٣) ، من حجارة فى وسط مدينة منف وجعلت أربعة أبواب كل باب منها إلى جهة من الجهات الأربع وصورت فيها صور الخيل والبغال والحمير والسفن والرجال وقالت لهم قد عملت لكم عملاً يهلك به كل من أرادكم سوء ممن يأتيكم فى البر أو البحر وهذا يغنيكم عن الحصن فمن أتاكم من جهة من إحدى الجهات على مثال هذه الصور أو السفن تحركت الصور التى فى جهتهم

(١) طوى فى الأصل والتصحيح من حسن المحاضرة .

* وطرة بلدة مصرية قديمة اسمها Taraou بمعنى ارض المغارات او المحاجر ، وتشتهر بمحاجرها التى تخرج الحجر الأبيض الجميل ، ووردت طره فى معجم البلدان ، طره قوية فى شرق النيل قريبة من الفسطاط من ناحية الصعيد ، وفى قوانين الدواوين لابن مماتى وفى تحفة الارشاد : طره من الاعمال الاطفيحية ، وقد اشتهرت ببعض الديارات القديمة اهمها دير القصير المعروف بدير البغل الذى لاتزال بقاياه موجوده شرقى طره على جبل المقطم ، وتشمل منطقة طره الآن طره البلد وهى البلدة القديمة وتقع بين طره الحجارة وطره الاسمنت وهى تقع على خط سكة حديد حلوان .

(٢) ندوره فى الأصل .

(٣) بربا المقصود به معبد .

فأى شيء فعلتموه بالصور أصابهم فى أنفسهم على صورة ما تفعلون بهم ، فلما بلغ من حولها من الملوك إن ملك مصر آل إلى إمرأة طمعوا فى ملكها وقصدوها فلما قربوا من عمل (١) مصر تحركت الصور التى فى البربا فطفقوا يفعلون بالصور ما يفعلونه من قطع رؤوس وفقأ عين أو بقر بطون فيصيب الجيش مثله ، فلما أنتشر ذلك عنها هابها الناس وامتنعوا عنها ، فأقامت فى الملك عشرين سنة تدبر أمر مصر حتى بلغ من أبناء اكابرهم وأشرافهم رجل يقال له دركون بن بلوطس(٢) فملكوه عليهم فلم تزل مصر فى منعه بتدبير تلك العجوز نحوا من أربعمائه سنة ثم هلك دركون فخلفه على الملك ابنه بودس (٣) ، وقيل تروس ، ثم هلك فخلفه أخوه لقاس فمكث ثلاث سنين ومات ولم يترك ولداً فاستخلف أخاه مرينا ، ثم ولده استمارس فخلعوه وقتلوه ثم بايعوا رجلاً من أشرافهم يقال له بلوطس من مناكيل فملكهم أربعين سنة ثم هلك فخلفه ابنه مالوس ، ثم أخوه مناكيل ، ثم ابنه بوله ، ثم شضاق ، ثم فرعون الأعرج فملكهم مائة وعشرين سنة وهو الأعرج الذى سبى ملك بيت المقدس وقدم به إلى مصر وبلغ ما لم يبلغه أحد من قبله بعد فرعون، فلما طغى وتجبر أهلكه الله ، صرعته دابته فدقت عنقه .

قال بن عبد الحكم : لما مات سليمان بن داود عليهما السلام ملك بعده عمه مرحب ، فسار إليه ملك مصر فقاتله وأصاب الأترسة الذهب التى عملها سليمان بن داود عليه السلام فذهب بها(٤)، ثم استخلف مرينوس بن بوله بعد موت أبيه فملكهم زمانا ثم هلك ، فاستخلف ابنه قرقوره فملكهم ستين سنة ، ثم أخوه لقاس ، وكان كلما انهدم من تلك البربا شيء لم يقدر أحد على إصلاحه إلا العجوز وولدها فكان لا يعرف ذلك أحد غيرهم فانقطع أصل ذلك البيت وبادوا(٥) ، وانهدم من البربا مواضع فى زمن لقاس فلم يمكنهم إصلاحه فانقطع ماكانوا يقهرون به أعدائهم من الملوك ، ثم مات لقاس فاستخلف ابنه قومس فملكهم دهرا ، ثم ظهر بخت نصر وأخرب بيت المقدس وقتل بنى اسرائيل فالتجأ طائفة من الذين هربوا منهم إلى ملك مصر ، فأرسل بخت نصر إليه فى طلبهم فلم يسلم فيهم وأغلظ له فى القول ، فسار بخت مصر إلى مصر فقاتلهم سنة ثم ظفر بهم فقتل ملكهم قومس وسبى جميع أهل مصر وقتل منهم من قتل ، ثم وضع له سريراً وجلس عليه ، وأمر بقتل جميع الأمراء وأخرب مصر وقراها وسبى أهلها ولم يترك بها أحداً ، فبقيت أربعين سنة خراباً ليس بها أحد ، يجرى نيلها ويذهب لا ينتفع به أحد ، ثم أن بخت نصر رد أهل مصر إليها بعد هذه المدة فعمروها فلم تزل معمورة من يومئذ ، ثم ظهرت الروم وفارس على سائر الملوك الذين فى وسط الأرض فقاتلوا أهل مصر ثلاث سنين وحاصروهم

(١) المقصود بعمل مصر أى ضواحيها .

(٢) تكتب بلاطيس أو بلطوس ايضاً .

(٣) لودس فى الأصل والتصحيح من حسن المحاضرة .

(٤) بهما فى الأصل .

(٥) بادروا فى الأصل .

فى البر والبحر ، فلما رأى أهل مصر ذلك صالحوا الروم على أن يجعلوا لهم شيئاً مسمى فى كل عام على أن يمنعوا منهم عدوهم ويكونوا فى ذمتهم ، ثم ظهرت فارس على الروم فلما غلبوهم على الشام رغبوا فى مصر فامتنع أهل مصر وأعانتهم الروم فقاتلوا دونهم وألحت عليهم فارس فلما غلبوهم على الشام رغبوا فى مصر فامتنع أهل مصر وأعانتهم الروم فقاتلوا دونهم وألحت عليهم فارس فلما خافوا ظهورهم عليهم صالحوهم على أن يدفعوا له نصف ما كانوا يدفعونه للروم فرضيت الروم بذلك ، فأقامت مصر بين الروم وفارس سبع سنين إلى ظهور الإسكندر الثانى وهو ابن فليبس بن أمية بن كلن الجبار وليس هو المشهور بذى القرنين فإن ذو القرنين كان ظهوره فى زمن ابراهيم الخليل والخضر كان وزيره ، وهو نبى مكن الله له فى الأرض وأتاه من كل شىء سببا ، وأما هذا كان وزيره أرسطاطيس وهو الذى نصب الحروب مع دارا وقتله وكان أيضاً يقال له ذو القرنين الأصغر زعما منهم أنه بلغ ما بلغ ذو القرنين الأكبر واستولى على الديار المصرية ، ثم لما مات استولاها بطليموس ثم بعده بطليموس الثانى ، ثم بعده قوس ، ثم ابنه بطليموس الطرس ، ثم أبر باطس ، ثم ابنه شوكار ، ثم بطليموس الإسكندر ، ثم دوسوا ، ثم أوراخيطس الثانى ، ثم سيد يريطس ، ثم اسكندر روس ، ثم قليور فرس الثانى ، ثم ديرسوس ، وآخرهم الملكة قلوبطرا (كليوباترا) ، وبموتها انقطعت مملكة مصر عنهم وصارت تحت يد ملك الروم من أهل مدينة رومية ، قال ابن حبيب فى تاريخه : أول من ملك مصر من ملوك الرومية اغسطس (١) ، ولقب بقيصر ومعناه الذى شق عنه لأن امه ماتت قبل أن تلده فشقوا بطنها وأخرجوه وكان يفتخر به ، حيث أنه لم يخرج من الفرج وهو الذى غلب على الملكة قلوبطرا وملك ديار مصر والشام فدخلت بنو اسرائيل تحت طاعته كما كانوا تحت طاعة البطالمة (٢) ، وملك بعده ستة وعشرين ملكاً ومنهم كان طيطوس وعمارة أورشير وكان منهم دقيانوس صاحب قصة الكهف ، ثم انتقل ملكها إلى الملوك القسطنطينية فملكهم منها ثلاثة وعشرون ملكاً آخرهم أرفليس وكان معروفاً بهرقل موصوفاً بالخير كما ورد به النقل وكانت الهجرة النبوية فى الثانى عشر من ملكه والله أعلم ، ثم استجاشت الروم وتظاهرت على فارس وألحوا عليهم فى القتال وتواتر عليهم الأجناد حتى ظهروا عليهم فخربوا مصانعهم وديارهم التى كانت بالشام ومصر « وكان ذلك على عهد رسول الله ﷺ وفيه نزل » قوله تعالى "آلم غلبت الروم" الآية ، فصارت الشام وصلح أهل مصر كله خالصاً للروم وليس لفارس منهما شىء ، قال الليث بن سعد رضى الله عنه وكانت الفرس قد اسست بناء الحصن المعروف بباب اليون (٣) ، وهو الآن يعرف بقصر الشمع بالفسطاط فلما انكشف جمع فارس عن مصر وأخرجتهم الروم من الشام أكملت الروم بناء ذلك الحصن وأرسل هرقل المقوقس أميراً على مصر وجعل إليه حرسها وجباية خراجها فنزل الاسكندرية ، فلم تزل فى حكم الروم حتى فتحها الله على المسلمين فى زمن خلافة عمر بن الخطاب .

---

(١) اغلطس فى الأصل . (٢) البطالة فى الأصل .

(٣) البون فى الأصل .

الباب الثانى
فى ذكر الخلفاء من بنى أمية وبنى العباسى بمصر

وفيه فصول، الفصل الأول ، فى ذكر خلفاء بنى أمية، وأول من ولى منهم الخلافة معاوية بن سفيان رضى الله عنه ، ولى الخلافة فى شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين هـ/ ٦٦١م ومدة خلافته تسع عشرة(١) سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام ، وكانت وفاته بدمشق نصف رجب سنة ستين من الهجرة ٦٨٠م ودفن بين باب الجابية وباب الصغير (٢) . وكانت مدة امارته من حين إمارته على الشام فى زمن عمر بن الخطاب إلى آخر خلافته أربعين سنة ، وتولى الخلافة بعده بعهده يزيد بن معاوية بويع بالخلافة سنة ستين ، ومدة خلافته ثلاثة سنين وتسعة أشهر ، وكانت وفاته فى شهر ربيع الأول سنة أربع وستين هـ/ ٦٨٤م ودفن بمقبرة باب الصغير ، فتولى الخلافة بعده معاوية بن يزيد بويع بالخلافه يوم توفى والده فأقام خليفه ثلاثة أشهر وأثنين وعشرين يوماً ثم خلع نفسه منها وتوفى بعد الخلع بأربعين ليلة وكان صالحاً ودفن بدمشق خارج باب الجابية ، فتولى الخلافة مروان بن الحكم فأقام خليفة تسعة أشهر وتسعة عشر يوماً وتوفى سنة خمس وستين هـ/ ٦٨٥م ودفن بدمشق خارج باب الجابية، ثم ولى الخلافة بعده عبد الملك بن مروان ، بويع بالخلافة يوم موت أبيه بعهده إليه فأقام فى الخلافة أحدى وعشرين سنة منها ثمان سنين مزاحماً بعبد الله بن الزبير وثلاث عشرة سنة (٣) مستقلاً وتوفى سة ست وثمانين هـ/ ٧٠٥م ودفن بباب الجابية والباب الصغير.

وكان الحجاج أحد أمرائه وولى له خراسان إلى أن توفى سنة خمس (٤) وتسعين هـ/ ٧١٤م فى خلافة سليمان بن عبد الملك ، ثم ولى الوليد بن عبد الملك ، جلس للخلافة يوم مات والده وكان ذلك فى رمضان سنة ست وثمانين هـ/ ٧٠٥م فأقام فى الخلافة تسع سنين وثمانية أشهر ونصف وهو الذى أسس جامع بنى أمية بدمشق المعروف بالأموى (٥) ، ابتدأ بناه فى ذى القعدة

---

(١) تسعة عشر فى الأصل .

(٢) باب الجابية يقع غربى دمشق وكان يتكون من ثلاثة أبواب ، والأوسط أكبر من الآخرين ، وهو منسوب الى قرية الجابية من عمل جولان أما الباب الصغير فهو الباب الذى يقع بالشاغور وكان أصغر أبواب دمشق .

(٣) ثلاثة عشر فى الأصل . (٤) خمسة فى الأصل .

(٥) يتكون تخطيط الجامع الأموى من صحن أوسط مكشوف تحيط به أربعة أورقة اكبرها واعمقها رواق القبلة الذى يتكون من ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة معطاة بثلاثة جمالونات يتوسطه مجاز قاطع عمودى على جدار القبلة تتوسطة قبة تسمى قبة النسر ويتميز هذا المجاز باتساعه وبان سقفه أعلى من بقية أسقف الجامع الجمالونية ، أما بقية الظلات الشمالية=

سنة ست وثمانين وتوفى قبل أن يتمه فى خامس عشر جمادى الآخرة سنة ست وتسعين هـ/ ٧٠٥م ودفن بباب الصغير بدمشق ، ثم تولى الخلافة بعده سليمان بن عبد الملك ، بويع بالخلافة بعد موت أخيه وافاه الخبر وهو بالرملة فسار إلى دمشق وبويع بها البيعة العامة وهو الذى أتم بناء الجامع الأموى وجهز أخاه مسلمة بن عبد الملك إلى الروم فغزا القسطنطينية وسليمان هو الذى بنى قبة الصخرة ببيت المقدس (١) ، وبنى المسجد النبوى وسقفه ووسعه حتى أدخل الحجرة الشريفة فيه فأقام خليفة سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام إلى أنا توفى عاشر شهر صفر بمرج دابق من أرض قنسرين سنة ثمان وتسعين هـ/ ٧١٦م وفى أيامه هلك الحجاج بواسط كما قدمنا ، ثم تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز الخليفة الصالح رضى الله عنه تولى الخلافة بعهد من ابن عمه سليمان ، ولما استقر خليفة أتت الرعاة تسأل من هذا الخليفة الصالح الذى ولى الخلافة ؟ فقال لهم أهل دمشق : ومن أين علمتم صلاحه ؟ قالوا : لإنا أصبحنا فرأينا الذئاب قد خالطت الغنم ولم تعد عليها ، ولم مات عدت الذئاب على الغنم فعلموا من ذلك موته ، وتوفى خامس عشرى رجب سنة إحدى ومائة هـ/ ٧٢٠م ، وأقام فى الخلافة سنتين وخمسة أشهر ودفن بدير سمعان رضى الله عنه ، وتولى الخلافة بعده ابن عمه يزيد ابن عبد الملك بويع بالخلافة بعد وفاة عمر رضى الله عنه فأقام فى الخلافة أربع سنين وشهرا وتوفى خامس عشرى شعبان سنة خمس ومائة هـ/ ٧٢٤م ، ثم تولى الخلافة بعده (٢) «هشام بن عبد الملك ، بويع له بالخلافة بعد موت أخيه فأقام فيها تسع عشرة(٣) سنة» وتسعة أشهر وخمسة أيام وتوفى فى صفر سنة خمس وعشرين ومائة هـ/ ٧٤٢م وفى أيامه توفى أبو محمد البطال المغازى المشهور سنة سبع ومائة ، وتوفى هشام بالرصافة وفى مدته صلب زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب على خشبة عريانًا ووجه لغير القبلة فدارت خشبته إليها ، وأرسل الله العنكبوت فنسج على عورته وسترها وأرسل هشام رأسه إلى مصر فنصب على المنبر فى الجامع فسرقه أهل مصر من محبى آل البيت ودفنوه بين الجامع الطولونى ومدينة مصر الفسطاط ، اشتهر الآن بمشهد زين العابدين وليس الأمر كذلك وإنما هو مشهد زين بن على بن الحسين ، وبعد أن مات هشام تولى الخلافة بعده ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك فأقام خليفة سنة وشهرين واثنى عشر يوماً ثم قتل ، وصلبت رأسه خمس وعشرين ومائة ودفن خارج باب الفراديس ، ثم تولى الخلافة بعده (٤) ، يزيد بن الوليد بن عبد الملك ويعرف بالناقص

= والشرقية والغربية فقد جاءت من بلاطة واحدة ، وكانت جدران الجامع مغشاة بلوحات من الرخام لا يزال جزء كبير منها باقيا فى الرواق الجوبى يصور نهر بردى فى دمشق .

(١) أخطأ المؤلف فى نسبة بناء قبة الصخرة لسليمان بن عبد الملك إذ أن الذى بناها هو عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ ، وإنما سليمان بنى المسجد الأقصى .

(٢) (ثم تولى الخلافة بعده) أضفتها ليستقيم المعنى .

(٣) تسعة عشر سنة فى الأصل

(٤) «ثم تولى الخلافة بعده» أضفتها ليستقيم المعنى .

لأنه كان انقص الجند من عطاياه ، فأقام خليفة ستة أشهر ، ثم تولى الخلافة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بويع له يوم مات أخوه فى شهر ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائه هـ / ٧٤٤م ، فأقام خليفة سبعين يوماً ثم خرج عليه مروان بن محمد فهرب ابراهيم منه ثم جاء فخلع نفسه وسلم الأمر إلى مروان بن محمد ، فأقام خليفة إلى أن ظهرت الدولة العباسية ووقعت بينه وبين أبى مسلم الخراسانى صاحب الدعوة وقائع عديدة وحروب شديدة إلى أن قتله ابو مسلم فى قرية من قرى مصر يقال لها أبوصير من أعمال الجيزة فانقرضت بموته الدولة الأموية وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وسبعة أيام وقتل فى عام ثلاث وثلاثين ومائة للهجرة / ٧٥٠م، وكانت مدة خلافه بنى أمية نيف وثمانين سنة وهى ألف شهر ، وخلفاؤهم أربعة عشر خليفة وانقرض اسمهم ولم يبق منهم إلا عبدالرحمن الداخل المتغلب على الأندلس وذريته ، ثم جاء الدولة العباسية وأول خليفة منهم كان (١) أبو العباس السفاح ، وسنأتى على ذكرهم كما ودعنا .

الفصل الثانى : فى ذكر الخلفاء العباسيين

وهم على قسمين قسم منهم الخلفاء الذين سكنوا بغداد وقسم آخر الخلفاء الذين سكنوا مصر بعد خراب بغداد، فأول الخلفاء من بنى العباسى أمير المؤمنين السفاح هو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، بويع له بالخلافة بالكوفة فى رابع عشر ربيع الأول سنة مائة وأثنتين (٢) وثلاثين وكان بنوا العباس السفاح وأخوه المنصور مختفين فى الكوفة فى منزل أبى سلمة الخلال إلى أن قويت شوكتهم فخرجوا من السرداب الذى كانوا فيه ، ثم فى سنة أربع وثلاثين من خلافته أنتقل إلى الأنبار فجعلها دار خلافته ، وأقام خليفة أربع سنين وتسعة أشهر، ثم توفى يوم الأحد ثالث عشر ذى الحجة الحرام سنة ست وثلاثين ومائة هـ / ٧٥٤م ودفن بالأنبار العتيقة ، ثم تولى أخوه أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد ، بويع له بالخلافة بعد موت أخيه ، وهو الذى أبا مسلم وضرب أبا حنيفة على القضاء ثم سجنه فمات بعد أيام وقيل أنه سقاه سما لكونه أفتى بالخروج عليه ، وفى سنة مائة وتسع وأربعين هـ / ٧٦٦م فرغ المنصور من بناء بغداد وفى سنة ثمان وخمسين زاد فى توسيع المسجد الحرام ، وعمر مسجد الخيف بمنى ورخم الحجر وهو أول من رخمه ، ولما عزم على الحج ركب من بير ميمونة فلما كان بين الحجونين سقط عن فرسه فاندقت عنقه (٣) فى سابع ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة هـ / ٧٧٥م وهناك دفن ، وكانت مدة خلافته اثنين وعشرين سنة ، ثم تولى بعده محمد المهدى بن المنصور بويع له بالخلافة ببغداد

(١) تقديم وتاخير ، فى الأصل كان منهم .
(٢) واثنين فى الأصل .
(٣) عنقه ساقطة فى الأصل .

بعد وفاة أبيه (وزاد) فى أيام خلافته فى الحرم من الجانب الشامى واليمانى ، توفى بقرية ما سندان ثانى عشر المحرم سنة تسع وستين مائة هـ/ ٧٨٥م وكانت مدة خلافته عشر سنين وشهرا ودفن بالقرية تحت شجرة جوز ، وتولى الخلافة بعده موسى الهادى بن محمد المهدى ، بويع له بالخلافة بعد موت أبيه وكان بجرجان تم قدم بغداد وتوفى بها رابع عشر ربيع الأول سنة مائة وسبعين هـ/٧٨٦هـ ومدة خلافته سنة وخمس وأربعون يوماً ، ثم تولى بعده أخوه هارون الرشيد ابن محمد المهدى ، بويع له بالخلافة بعد موت أخيه الهادى فأقام فى الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وشهرين مات فى الغرو بطوس ودفن بها فى ثالث جمادى الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائه هـ/ ٨٠٧م، فتولى الخلافة محمد الأمين بن الرشيد ، بويع له بالخلافة يوم مات أبوه فأقام خليفة أربع سنوات وثمانية أشهر وقتل فى المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة هـ/ ٨١٣م، فتولى الخلافة بعده عبد الله المأمون ابن الرشيد ، بويع له بالخلافة بعد قتل أخيه الأمين ، وفى سنة اثنتى عشرة ومائتين أظهر القول بخلق القرآن وتوفى ثامن عشر رحب الحرام سنة مائتين وثمانية عشر هـ/٨٣٣م ومدة خلافته عشرون سنة وخمسة أشهر وإحدى وعشرون يوماً ، فتولى الخلافة بعده أخوه محمد المعتصم بالله أبو اسحاق ابراهيم بن الرشيد ، بويع له بالخلافة يوم وفاة (١) أخيه المأمون وهو الذى ضرب الإمام أحمد بن حنبل على القول بخلق القرآن وأقام خليفة ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام وتوفى ثانى عشر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين هـ/ ٨٤١م ، فتولى الخلافة الواثق بالله هارون ابن المعتصم فأقام خليفة خمس سنوات وتسعة أشهر ومات فى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين هـ/ ٨٤٦م فتولى الخلافة بعده المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بن هارون ، بويع له بالخلافة بعد موت أخيه الواثق فأقام خليفة أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وقتله(٢) الأتراك بتواطىء ابنه المنتصر(٣) سنة سبع وأربعين ومائتين هـ/ ٨٦١م ، وفى أيامه توفى الإمام أحمد بن حنبل ، وتولى بعده المنتصر بالله محمد بن المتوكل جعفر بن المعتصم ، بويع بالخلافة صبيحة الليلة التى قتل فيها أبوه فأقام خليفة ستة أشهر وتوفى عاشر ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائتين هـ/ ٨٦٢م ، فتولى الخلافة بعده عمه المستعين بالله أحمد بن محمد بن المعتصم ولم (٤) يكن أبوه خليفة ، بويع بالخلافة سنة ثمان وأربعين ومائتين فاستمر خليفة سنتين وتسعة أشهر إلى أن قتل أوائل رمضان سنة إحدى وخمسين ومائتين هـ/ ٨٦٥م ، تم تولى بعده المعتز بالله محمد بن المتوكل جعفر ، بويع بالخلافة يوم خلع المستعين بالله فأقام خليفة أربع سنين وستة أشهر ونصف ، ثم خلع وقتل فى شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين هـ/ ٨٦٨هـ، ثم تولى بعده المهتدى بالله محمد بن الواثق بالله هارون ، بويع بالخلافة يوم خلع ابن عمه المعتز ، وكان صالحاً زاهدا صائماً قائما متواضعاً ، وفى أيامه أبطل المكوس والمحرمات ، بويع بالخلافة فى شهر رجب الحرام فأقام فيها سنة واحدة ثم قتله الأتراك فى أواسط شهر رجب سنة ست و خمسين ومائتين هـ/ ٨٦٩م ودفن بسر من رأى (٥) ، ثم تولى بعده المعتمد على

(١) وفاة ، ساقطة فى الأصل .
(٢) قتلوه فى الأصل .
(٣) المنصور فى الأصل وهو خطأ .
(٤) ولم = ولكن فى الأصل .
(٥) هى المعرفة باسم سامراء وقد أسسها الخليفة المعتصم بالله .

الله أحمد بن المتوكل جعفر ، بويع الخلافة يوم قتل بن عمه المهتدى بالله ، وكانت فى أيامه وقائع عظيمة أعرضنا عن ذكرها لضيق هذا المختصر عنها ، وفى خلافته توفى الإمام محمد بن اسماعيل البخارى صاحب الجامع الصحيح فى الحديث ، فأقام فى الخلافة ثلاث وعشرين سنة ومات فى شوال سنة تسع وسبعين ومائتين هـ/ ٨٩٢م ، فتولى بعده المعتضد بالله أحمد بن طلحة بن جعفر المتوكل ، بويع بالخلافة « يوم مات المعتمد ، وهو الذى هدم دار الندوة وأدخلها فى المسجد الحرام ، وأمطرت السماء » بالبصرة بردا زنة الواحدة مائة وخمسون درهما ، وفى أيامه توفى الشيخ الزاهد سهل بن عبدالله التسترى ، وأقام المعتضد خليفة تسع سنين وتسعة أشهر إلى أن توفى لسبع بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين هـ/ ٩٠١م ، ثم تولى بعده المكتفى بالله على بن أحمد المعتضد بن طلحة ، بويع بالخلافة بعد موت أبيه ، فأقام فى الخلافة ستين وثمانية أشهر ، وتوفى فى بغداد سنة اثنين وتسعين ومائتين هـ/ ٩٠٥م ، فتولى الخلافة بعده المقتدر بالله جعفر بن المعتضد ، بويع له بالخلافة يوم قتل أخوه وله من العمر ثلاث عشرة سنة ، وفى أيامه قتل منصور الحلاج سنة خمس وثلثمائة هـ/ ٩١٧م ، وفى أيامه توفى الجنيد البغدادى شيخ الصوفية ، وفى سنة خمس عشرة وثلثمائة هـ/ ٩٢٧م دخل القرمطى (١) مكة فى يوم التروية فقتل الحجيج فى المسجد الحرام وطرح القتلى فى بير زمزم وضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه بعد العصر يوم الاثنين رابع شهر ذى الحجة الحرام سنة ثلثمائة وخمس عشرة فبقى عندهم اكثر من عشرين سنة ثم دفع لهم المسلمون فيه خمسين ألف دينار فأبوا ، ثم ردوه فى خلافة المطيع ، وفى تلك السنة دخلت الروم دمياط وأسروا أهلها وضربوا الناقوس فى جامعها ، وفى سنة ثلاثمائة وعشرين (٢) ركب مؤنس على الخليفة وكان معظم جنده البربر فلما التقى الجمعان رمى بربرى الخليفة بحربة فسقط منها عن جواده فذبحه وسلبه ما كان عليه وتركه مكشوف العورة ورفع رأسه على رمح ثم ستروا عورة الخليفة بالحشيش ودفنوه فى مكانه وذلك يوم الأربعاء سابع عشرى شوال من السنة ، وأحرق قاتله ، وكانت خلافته خمساً وعشرين سنة ، ثم تولى الخلافة القاهر بالله محمد بن المعتضد بويع له بالخلافة يوم قتل أخوه ببغداد فى ثامن عشرى شوال سنة ثلاثمائة وعشرين هـ/ ٩٣٢م (٣) ، وكان ظالماً غشوماً ، وفى أيامه تولى الوزارة بن مقلة الذى عرب الخط الكوفى ، وإليه ينسب الخط الكوفى إليه ينسب الخط العربى المشهور الآن رحمة الله تعالى ، واستمر

---

(١) هو أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الحسن بن مهران الجنابى القرمطى لعنة الله ، والقرمطى نسبة إلى حمدان بن الأشعث قرمط ، ويعرف بقرمط لأنه كان رجلاه قصيرتين وخطوه متقاربا ، وكان فى ابتداء امره أكارا من اكره سواد الكوفة ، وإليه تنسب القرامطة وهم طائفة من الباطنية ظهرت دعوتهم فى خلافة المأمون وانتشرت فى خلافة المعتصم وتعتبر حركة القرامطة أخطر حركة وجهت ضد الإسلام .

(٢) (سنة ثلاثمائة وست عشرة) فى الأصل ، والتاريخ الصحيح سنة ٣٢٠ هـ ، انظر : مورد اللطافة فى من ولى السلطنة والخلافة لابن تغرى بردى حـ ١ ص١٨٨ .

(٣) (سنة عشرة) فى الأصل .

سنة ونصف وثمانية أيام وسملت عيناه فى شهر جمادى الآخر سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة هـ/ ٩٣٣م ، وتولى بعده (١) الراضى بالله محمد بن جعفر المقتدر بالله بويع بالخلافة يوم خلع عمه القاهر ، وفى أيامه اختل أمر (٢) الخلافة ، والصحيح أن الذى قطع يد بن مقلة ولسانه هو الخليفة الراضى بالله (٣) ، واستمر خليفة إلى أن توفى ليلة السبت خامس عشر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وثلثمائه هـ/ ٩٣٧م ودفن بالرصافة ومدة خلافته ست سنوات وعشرة أشهر ، ثم ولى الخلافة بعده المتقى لله ابراهيم بن المقتدر ، بويع له بالخلافة يوم موت أخيه الراضى ثم استمر فى الخلافة أربع سنوات إلى أن خلعة توزون (٤) أحد أمراء الأتراك حين استولى على بغداد فى سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، وسمل عينيه وسجنه ، فلم يزل مسجوناً خمسا وعشرين سنة ، فتولى بعده الخلافة المستكفى بالله عبدالله بن المكتفى ، بويع بالخلافة يوم خلع ابن عمه المتقى فأقام خليفة سنة وأربعة أشهر ثم خلع وسملت عيناه فى ثانى عشرى جمادى الآخرة سنة إحدى ثلاثين وثلثمائة هـ/ ٩٤٣م فاجتمع فى تاريخه ثلاثة من الخلفاء العميان ببغداد ، ثم تولى الخلافة بعده المطيع لله أبو الفضل القاسم بن المقتدر ، بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه المستكفى ، وكان تدبير ملكه فى يد معز الدولة بن بويه فقرر للخليفة فى كل يوم مائة دينار لمطبخه ونفقته واستولى هو على الخزائن، وفى سنة تسع وعشرين ثلثمائه أعيد الحجر الأسود الى مكانه ، وفى أيامه حصل ببغداد غلاء عظيم يعد من النقم بحيث أبيع العقار ببغداد برغيفين خبز وأكل الناس الفقراء الصبيان، وفى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائه هـ/ ٩٤٥م زلزلت مصر زلزلة عظيمة دامت ثلاث ساعات وهدمت كثيراً من البيوت حتى ابتهل الناس إلى الله بالدعاء ، وفى سنة ست وثلاثين وثلثمائة نقص البحر الملح ثمانين ذراعاً فظهرت فيه جبال جزائر وأشياء لم تعهد ، وخسف ببلد بالطايف بأهلها ولم ينج منهم الا نحو ثلاثين رجلاً ، وخسف بمائة وخمسين قرية من قرى الرى واتصل الأمر الى حلوان وخسف بأكثرها ، وقذفت الأرض عظام الموتى وعلقت قرية بين السماء والأرض عن فيها نصف نهار ثم خسف بها وانخسفت الأرض وظهر فى موضع الخسف مياه منتنة ودخان عظيم ،كذا نقله ابن الجوزى فى كتابة الشذور، وهذا الخليفة أول من أظهر مأتم الإمام الحسين فى يوم عاشوراء وقفل الأسواق وعلق عليها المسوح وأخرج النساء منشورات الشعور يلطمن خدودهن فى الشوارع وبقمن المآتم على الحسين وذلك فى سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة ، واستمر فى الخلافة تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر إلى أن خلع سنة إحدى وستين وثلثمائة هـ/ ٩٧٢م وفرغ عن الخلافة لولده ، ثم توفى المطيع بدير العاقول بعد خلعه بشهرين فتولى الخلافة بعده الطائع لله عبدالكريم بن المطيع ، بويع له يوم خلع أبوه نفسه، وفى أيامه قطعت خطبة بنى

(١) أضفتها ليستقيم المعنى . (٢) (أمن) فى الأصل .

(٣) هذه العبارة به اضطراب وربما سقط من الناسخ عبارة عن قطع يد ابن مقله ولسانه .

(٤) (حلفه نورون) فى الأصل والتصحيح من مورد اللطافة .

العباس من الحرمين الشريفين وأقيمت الخطبة للمعز الفاطمى العبيدى صاحب مصر والمغرب ، واستولى عضد الدولة بن بويه على بغداد وخلع عليه الخليفة وكان التصريف له ولأولاده ، ولما قضى الأمر الى صمصام الدولة ثم الى أخيه بهاء الدولة وضياء الملة تقدم رجال (١) أصحابه إلى الخليفة فجذبوه من على السرير وتكاثر عليه الديلم فلفوه فى كساء ونهبوا دار الخلافة فخلع الطائع نفسه وذلك فى شعبان سنة إحدى وثمانين وثلثمائة ،هـ/ ٩٩١م وأقام مخلوعاً إلى أن توفى سنة إحدى وتسعين وثلثمائة فكانت مدة خلافته تسع عشرة (٢) سنة وتسعه أشهر ، ثم تولى الخلافة بعده القادر بالله أحمد بن اسحاق بن جعفر المقتدر بالله بويع بالاخلافة ليلة خلع عمه الطائع سنة إحدى وثمانين وثلثمائه ولم يزل فى الخلافة الى أن توفى فى ذى القعدة سنة اثنين وعشرين وأربعمائه هـ/ ١٠٣١م فكانت مدة خلافته إحدى وأربعين سنة وثلاثة شهور ، ثم تولى بعده القائم بأمر الله عبدالله بن القادر بالله ، بويع له يوم موت أبيه ، وفى أيامه كان ابتداء ظهور الدولة السلجوقية وانقراض دولة بنى بويه ، وفى سنة إحدى وستين وأربعمائه احترق الجامع الأموى بدمشق وزالت محاسنه ، وفى أيامه توفى الرئيس أبو على بن سينا ، وتوفى الخليفة القائم سنة سبع وستين وأربعمائه هـ/ ١٠٧٥م فكانت مدة خلافته خمساً وأربعين سنة ، ثم ولى الخلافة بعده حفيده(٣) المقتدى بالله عبدالله بن محمد بن القائم بأمر الله ، بويع له بالخلافة يوم مات جده القائم بأمر الله فأقام خليفة سبع عشرة سنة وثمانية أشهر إلى أن توفى سنة سبع وثمانين وأربعمائة هـ/ ١٠٩٤م (٤) ، فتولى الخلافة المستظهر بالله احمد بن عبدالله المقتدى ، بويع له بالخلافة يوم مات أبوه ، وفى أيامه أخذت الفرنج بيت المقدس بعد أن حاصروا أهله شهراً ونصف شهر وقتلوا من أهله أكثر من سبعين ألفاً وهدموا المشاهد وجعلوا اليهود فى كنيستهم ثم أحرقوها عليهم ، اختلفت الملوك فتمكنت الإفرنج من الشام وذلك فى «سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة هـ/ ١٠٩٩م، ثم توفى الخليفة فى سنة ست عشرة وخمسمائه هـ/ ١١٢٢م ومدة خلافته خمس وعشرون سنة ، ثم تولى الخلافة المسترشد بالله فضل بن أحمد المستظهر ، بويع له بالخلافة يوم موت والده ، وخرج عليه السلطان مسعود ووقع بينهما مقتلة عظيمة آلت إلى أن ظفر بالخليفة وقتله عام سبع وعشرين وخمسمائة هـ/ ١١٣٣م فكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة خمسة شهور ، ثم تولى الخلافة بعده الراشد بالله منصور بن المسترشد ، بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه ، ومن الحوادث فى أيامه أنه ارتفع سحاب وأمطر بلد الموصل ناراً فاحترقت أكثر أماكنها ، وظهر ببغداد عقارب طيارة لها شوكتان فقتلت جماعة كثيرة من الصبيان ، وفى ذى الحجة قصد الملك مسعود قتال الخليفة فدخل بغداد وأعانه أهلها وأفتى قاضى القضاة المالكية بخلع الخليفة لأمور قبيحة ظهرت منه شهد بها جماعة من

---

(١) (تقدم رحال) أصنتها من المصادر التاريخية ، والكلمة التى فى الأصل نفد .

(٢) تسعة عشر فى الأصل .   (٣) ولده فى الأصل

(٤) خمس وأربعمائة فى الأصل وهو خطأ .

أهل بغداد فخلعوه فى رابع عشر ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة هـ/ ١١٣٤م ، وكان الراشد قد هرب إلى أصفهان فحاصرها وتمرض هناك فوثب عليه جماعة من الفداوية فقتلوه وكانت مدة خلافته إلى أن خلع سنة واحدة إلا أياماً ، وتولى الخلافة المقتضى لأمرالله محمد بن المستظهر بالله ، بويع له يوم خلع أخيه ، وفى أيامه أمطرت السماء دما فى أرض اليمن صارت الأرض منه موسومة بالدم ، وبقى الدم فى ثياب الناس ، وحدثت فى أيامه عجائب كثيرة سماوية ، وأقام فى الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة ثم توفى سنة خمسمائة وخمس وخمسين سنة ، ومات فى أيامه الزمخشرى صاحب الكشاف ، وفى أيامه عادت بغداد والعراق إلى يد الخليفة لأن الحكم كان للملوك المتغلبين وليس للخليفة معهم إلا الأسم ، ثم تولى الخلافة المستنجد بالله يوسف بن المقتضى محمد ، بويع له بالخلافة يوم موت أبيه فأقام خليفة أحد عشر سنة وأياماً ثم توفى عام اثنين وستين وخمسمائة ، ومات فى زمنه القطب الربانى سيدى عبدالقادر الكيلانى أعاد الله علينا من بركاته ورضى عنه ، ثم ولى الخلافة المستضئ بأمر الله حسن بن المستنجد ، بويع بالخلافة يوم مات أبوه ، وفى أيامه عادت الخطبة بمصر لبنى العباس بعد انقطاعها مائتين وخمس عشرة سنة (١) ، وفى أيامه انقرضت دولة بنى عبيد من مصر وضربت السكة على اسم المستضئ ، وتوفى سنة خمس وسبعين وخمسمائة فكانت خلافته تسع سنوات ونصف ، ثم ولى الخلافة بعده الناصر لدين الله أحمد بن المستضئ ، بويع له بالخلافة يوم موت أبيه فأقام خليفة سبعاً وأربعين سنة وتوفى سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م (٢) ، وفى أيامه قتل الشهاب السهروردى بحلب ، واستخلص صلاح الدين بن أيوب القدس الشريف وبلاد الساحل من الفرنج ، ثم ولى الخلافة الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر ، بويع له بالخلافة عند موت أبيه فأقام فى الخلافة تسعة أشهر وتوفى سنة ثلاث عشرين وستمائه (٣)، فتولى الخلافة المستنصر بالله منصور من الظاهر بويع له بالخلافة بعد موت أبيه ، فأقام خليفة سبع عشرة سنة ، وتوفى سنة أربعين وستمائه(٤) وفى أيامه توفى سيدى عمر بن الفارض سنة ثلاث وثلاثين وستمائه والشيخ الأكبر محيى الدين ابن العربى سنة ثمانى وثلاثين وستمائة ، وتولى الخلافة المستعصم بالله عبدالله بن المستنصر، بويع له بالخلافة يوم موت أبيه وهو آخر الخلفاء العباسيين ببغداد والعراق لأن التتار لما ملكوا بغداد وأبادها أهلها قتلوا الخليفة وأولاده وأخذوا القضيب والبردة فأحرقوهما بالنار وذلك رابع عشر صفر سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م (٥).

فانقرضت الدولة العباسية من بغداد وانتقلت الخلافة إلى مصر وكان قتل الخليفة سنة ست (٦)، وخمسين وستمائه ومدة خلافته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر ، وفى أيامه مات ابن الحاجب صاحب الكافية والشيخ أبو الحسن الشاذلى شيخ الطريقة الشاذلية وياقوت المستعصمى صاحب الخط ومدة خلافتهم ببغداد خاصة أربع وعشرون وخمسمائة سنة رحمهم الله تعالى .

---

(١) خمسة عشر سنة فى الأصل . (٢) ٦١٩هـ فى الأصل. (٣) ٦٢٠هـ فى الأصل.
(٤) ٦٣٧هـ فى الأصل . (٥) ٦٩٥ هـ فى الأصل . (٦) ثلاث فى الأصل.

ذكر الخلفاء العباسيين المصريين

لما قتل التتار الخليفة أقامت الدنيا بلا خليفة ثلاث سنين ونصف، ثم أقيمت بمصر وأول من بويع بالخلافة منهم المستنصر بالله أبو القاسم ابن الظاهر بالله،أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد ، كان المستنصر يوم قتل الخليفة المستعصم محبوساً ، فلما قتل الخليفة هرب المذكور إلى عرب العراق وحضر إلى مصر وأثبت نسبه على يد القاضي فبايعه الظاهر بيبرس بالخلافة ثم قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز ثم الأمراء على مراتبهم ، ثم أن الظاهر بيبرس جهزه الى العراق مع جماعة من الأمراء فقتله التتار وقيل هرب ولم يعلم له خير وذلك سنة ستين وستمائة هـ/ ١٢٦٢م فكانت خلافته ستة أشهر، فبويع بالخلافة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن أبي علي الحسن القبي بن المسترشد ، كان اختفى أيام أخذت التتار بغداد ، ودخل مصر بعد موت المستنصر فبايعه السلطان فأقام خليفة نيفا وأربعين سنة وأسكنه (١) الظاهر بالبرج الكبير بالقلعة وتوفى سنة إحدى وسبعمائة هـ/ ١٣٠٢م، فتولى الخلافة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بويع بالخلافة بعد أبيه سنة إحدى وسبعمائة « ثم نفاه السلطان هو وأولاده إلى قوص فأقام بها إلى أن مات في شعبان سنة أربعين وسبعمائة هـ/ ١٣٤٠م » . فتولى الخلافة الواثق بالله إبراهيم بن محمد بن الحاكم بأمر الله ثم عزله لما ظهر له استحقاق غيره بالعهد وذلك في سنة اثنين وأربعين وسبعمائه هـ/ ١٣٤١م، وولى ولي العهد الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفي فأقام خليفة إلى أن مات بالطاعون سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة هـ/ ١٣٥٢م، فاستخلف المعتضد بالله أبو الفتح أبو بكر بن المستكفي ، بويع له يوم موت أخيه سنة ٧٥٣ هـ فاستمر فيها إلى أن مات سنة ثلاث وستين وسبعمائة هـ/ ١٣٦٢م، فتولى الخلافة بعده المتوكل على الله أبو عبدالله محمد فأقام خليفة خمساً وأربعين سنة إلى أن مات في رجب سنة ثماني وثمانمائة هـ/ ١٤٠٥م، وتولى بعده الواثق بالله عمر بن إبراهيم بن المستمسك بن الحاكم ، بويع بالخلافة بعد موت المتوكل ثم خلع ومات في شوال سنة ثمانين وسبعمائة (٢) ، ثم تولى بعده المعتصم بالله زكريا بن عمر بويع بالخلافة بعد موت أخيه ثم خلع سنة إحدى وتسعين وسبعمائة هـ/ ١٣٨٩م، ثم تولى الخلافة المستعين بالله أبو الفضل ابن المتوكل بعهد أبيه له في سنة ثماني وثمانمائة بعد موت المتوكل فتولى المستعين السلطنة مضافة الى الخلافة ، ثم أخذ السلطنة منه المؤيد وخلعه (٣) ، ونفاه إلى الأسكندرية سنة ٨١٦ هـ/ ١٤١٣م(٤) ، فأقام بها إلى أن مات بالطاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ١٤٢٩م، وتولى المعتضد أبو الفتح داود ابن المتوكل ولي الخلافة بعد خلع أخيه سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م (٥) ، عشرة وثمانمائة (٦) ، مات سنة خمس وأربعين وثمانمائة هـ/ ١٤٤١م

---

(١) وأمكنه في الأصل .

(٢) في الأصل ٨٨٠ هـ .

(٣) في الأصل خلع الخليفة .

(٤) سة ٨٢٣ هـ في الأصل ، والتصحيح من مورد اللطافة .

(٥) حمس عشرة في الأصل ، والتصحيح من مورد اللطافة .

(٦) ذكر المؤلف هنا عبارة خاطئة هي "واستمر إلى ان خلع في المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة" وقد حذفتها لأن الخليفة استمر في الخلافة حتى مات سنة ٨٤٥ هـ .

فاستحلف المستكفى بالله أبو الربيع بن المتوكل بعد أخيه ، وكان صالحاً دينا ورعاً فأقام خليفة إلى أن مات سنة أربع وخمسين (١) ، وثمانمائةهـ/ ١٤٥٠م ، فاستخلف أخوه القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة بن المتوكل ، بويع بعد موت أخيه ثم خلع سنة تسع وخمسين وثمانمائةهـ/ ١٤٥٥م واستقل بالإسكندرية إلى أن مات ، وتولى الخلافة بعد خلع القائم المستنجد بالله أبو المحاسن يوسف بن المتوكل فاستمر خليفة إلى أن مات سلخ المحرم سنة ثلاث وتسعمائةهـ/١٤٩٧م فتولى الخلافة المستمسك بالله يعقوب فاستمر خليفة إلى أن ملك السلطان سليم خان الديار المصرية فأخذ العباسيين صحبته إلى بلاد الروم وإلى هنا وانقضت الدولة العباسية من مصر والعراق ، وعدد الخلفاء ببغداد سبع وثلاثون خليفة وعدد الخلفاء منهم بمصر خمس عشرة خليفة ومدة خلافتهم بمصر خمس وخمسون ومائتا سنة فسبحان من لايزول ملكه ولا يبيد سلطانه ولا إله غيره .

وأول الأمراء بها بعد الفتح من الصحابة

عمرو بن العاص وهو الذى تولى فتحها فى زمن خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة إحدى وعشرين سنة بن الهجرة ، وفى أيامه أرسل له أمير المؤمنين عمر يسأله عن شرح حال نيل مصر فأجابه بخبر زيادته وقياسه فى زمن الزيادة وعن المقدار الذى يحصل به النفع العام من الزيادة والذى لا يحصل فاستشار عمر علياً رضى الله عنهما وأمر أن يكتب إليه أن يبنى مقياساً فبناه بحلوان ، وفى زمنه كتب له عمر رضى الله عنه يأمره بتجديد حفر خليج القلزم وكان قد طمس فحفره وأجرى فيه السفن من الفسطاط إلى السويس ولم يزل إلى أن استخلف المنصور العباسى فردمه سنة خمسين ومائة وبقى منه الموجود الآن فيسمى خليج القاهرة والعامة تسميه الخليج الحاكمى (٢) ، ثم غلب عليه الرمل لعدم الإعتناء بتنظيفه وصار منتهاه إلى ذيل التمساح من ناحية طحا القلزم ، ولم يزل عمرو أميراً على مصر إلى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فعزله عن مصر ، وولى مكانه عبدالله بن سعد بن أبى السرح وكان قبلها والياً على الصعيد الى الفيوم ففوض له ولاية مصر كلها وذلك سنة خمس وعشرين للهجرة فاهتم بقتال أهل المغرب وفتح بلاد البربر وافريقيا سنة ٣٥ هـ/٦٥٦م وفيها توفى عثمان وتولى الخلافة على رضى الله عنهما فعزل عبدالله عن مصر وولى قيس بن سعد بن عبادة ثم عزله وولى محمد بن أبى بكر تم عزله وولى الأشتر النخعى وكان شجاعاً فلما وصل إلى القلزم استقبله المقدم على الخراج فسقاه شراباً من عسل مسموماً فمات منه ولما بلغ موته علياً تأسف عليه وكتب إلى محمد بن أبى بكر باستقراره فى الخلافة ، ولما بلغ معاوية موت الأشتر ولى على مصر من جانبه عمرو بن العاص وذلك بعد وقعة صفين ، فخرج إليها فى ستة آلاف واجتمع عليه العثمانية وكانوا نحو عشرة آلاف رجل فكتب عمرو الى محمد بن أبى بكر تنح عنى بدمك فإنى لا أحب أن يصبك منى

---

(١) ذكر ابن تغرى فى مورد اللطافة جـ ١ ص ٢٦٠ أن توفى يوم الجمعة ثانى محرم سنة ٨٥٥ هـ .
(٢) يمثل موضعه بالقاهرة الآن شارع بورسعيد (شارع الخليج المصرى سابقاً) .

ظفر وإن الناس قد اجتمعوا على خلافك ، فأغلظ له محمد فى الجواب وركب فى ألفى فارس من أهل مصر فأحاظ به الشاميون جند عمرو من كل جانب وتفرق عنه المصريون فهرب واختفى فى حربتا ، ودخل عمرو الى الفسطاط ثم دلوه على محمد بن أبى بكر فجئ به وقد كاد يهلك عطشاً فقدمه معاوية بن خديج فضرب عنقه ثم وضعه فى جيفة حمار وأحرقه بالنار وذلك فى صفر سنة ٣٨ هـ/٦٥٨م وكتب عمرو إلى معاوية يخبره بفتح مصر فولاه معاوية ووهب له خراجها فأقام فيها خمس سنين وثمانية أشهر وفى أيامه بنى مقياسا بأنصنا فلم يزل يقاس فيه إلى أن بنى عبدالعزيز بن مروان المقياس بحلوان ، ثم توفى عمرو بن العاص ليلة عيد الفطر سنة ٤٣ هـ/٦٦٣م وخلف مائة أردب من الذهب النقد كيلت بالكيل وسبعة قناطير من الفضة تورع ابنه عن الكل وأرسلها جميعاً لمعاوية على الجمال وضعهم فى بيت المال ، ودفن بالمقطم من ناحية الفج وكان طريق الناس يومئذ الى الحجاز فأحب الدفن به ليدعو له من يمر به من الحجاج وهو أول أمير مات بمصر ، فولى بعده معاوية على ديار مصر ولده عبدالله بن عمرو بن العاص ثم عزله ، وولى عتبة (١) بن أبى سفيان ثم عزله وولى عقبة بن عامر الجهنى سنة أربع وأربعين فأقام والياً إلى سنة سبع وأربعين (هـ) ثم توفى فدفن بالقرافة بجوار قبر عمرو بن العاص ، ثم وليها بعده معاوية من خديج فأقام إلى سنة خمسين هـ/٦٧٣م وعزل ، فولى مكانه مسلمة بن مخلد وجمعت له مصر والمغرب وهو أول من جمع له ذلك وأول من أحدث المنائر بظهر جامع عمرو كالإشارات ، بنى أربع منارات وكانوا قبل يؤذنون على ظهر الجامع أو بابه، وجوف المحراب للإمام وأحدث تسبيح السحر بالليل وذلك سنة ٥٣ هـ / ٦٧٠م، ثم وليها بعده سعيد بن يزيد بن علقمة الأزدى ، فلما ولى ابن الزبير الخلافة بعد موت يزيد عزله وولى عبدالرحمن بن مخزوم (٢) القرشى الفهرى سنة ٦٤هـ (٣) / ٦٨٣م فقصد مروان مصر فملكها وجعل عليها عبدالعزيز وذلك فى سنة ٦٥ هـ فوضع المقياس «بحلوان، وفى زمنه وقع الطاعون فخرج إلى حلوان لبناء المقياس» فمات بها وحمل الى الفسطاط فدفن بمقبرتها وكانت وفاته ثانى عشر جماد الأول سنة ٨٦هـ / ٧٠٥م ووضع أسامة بن زيد التنوخى فى هذا التاريخ مقياسا بالجزيرة المعروفة بالروضة فى خلافة الوليد بن عبد الملك وكان عامل خراج مصر ثم تولى عبدالملك فأقام شهراً إلا ليلة ثم صرفه وولى ابنه عبدالله بن أمير المؤمنين عبدالملك وهو أول من نقل الدواوين إلى العربية وكان قبله بالعجمية فأقام إلى تسعين هـ/ ٧٠٩م ، فعزله أخوه الوليد وولى قرة بن شريك العبسى فقدمها يوم الأثنين ثالث عشر ربيع الأول وكان فاسقاً غشوما ظلوماً فأقام والياً إلى أن مات سنة ٩٦ هـ/ ٧١٥م وكتب أسامة بن زيد لسليمان بن عبدالملك ببطلان المقياس بالجزيرة وبناء آخر (٤) غير الأول فبناه فى سنة ٩٦ هـ/ ٧١٥م تم تولى مصر عبدالملك بن رفاعة

---

(١) عقبة فى الأصل والتصحيح من حسن المحاصرة .

(٢) محزوم = ححدم فى ا لكامل لابن الأثير ، قحرم فى خسن المحاضر للسيوطى .

(٣) سة ٦٣ هـ فى الأصل ، والتصحيح من حسن المحاضرة .

(٤) (وبناء آحر) أصفته السياق المعنى .

القيسى الى سنة ٩٩ هـ فعزل وتولى أيوب بن شرحبيل فأقام فيها ستين ونصف وتوفى بمصر سنة إحدى ومائة هـ/ ٧١٩م ، فتولى بشر بن صفوان الكلبى فأقام الى سنة ثلاث ومائة ، ثم ولى أخوه حنظلة فأقام الى سنة خمس ومائة هـ/٧٢٣م، ثم ولى محمد بن عبد الملك الخليفة فأقام شهرين ونصف ، ثم ولى مكانه الحسن بن يوسف فأقام ثلاث سنين ثم عزل ، وولى حفص بن الوليد فأقام إلى آخر سنة ثماني ومائة ، ثم ولى بعده عبدالملك بن رفاعة فأقام خمسة عشر يوما ثم صرف (١) ، وولى أخوه الوليد فأقام الى أن توفى بمصر سنة ١١٧ (هـ) / ٧٣٥م ، وتولى بعده عبدالرحمن بن خالد الفهمى فأقام سبعة أشهر وصرف ، وتولى حنظلة بن صفوان المرة الثانية فى سنة ١٢٦ هـ ثم صرف فى سنته ، وأعيد حفص بن الوليد وعزل سنة ١٢٨ هـ، وولى الحويرة (٢) بن سهل الباهلى ، ثم ولى المغيرة بن عبيد القرارى (٣) إلى سنة ١٣١ هـ وتوفى بالأسكندرية فتولى عبدالملك بن مروان مولى لخم الى سنة ١٣٢ هـ/ ٧٥٠م فقتل بمصر ، تم قامت الدولة العباسية وقام السفاح فولى نيابة الشام ومصر الى صالح بن عبدالله بن عباس فسار إلى مصر حتى حضر قتل مروان فى ذى الحجة سنة ١٣٣ هـ ، تم رجع إلى الشام واستخلف على مصر أباعون عبدالملك بن يزيد الأزدى فأقام الى سنة ١٤٢هـ(٤) ، ثم ولى بعده موسى بن كعب التميمى فأقام سبعة أشهر ومات ، فولى محمد بن الأشعث الخزاعى ثم عزل سنة ١٤٢ هـ/٧٥٩م؛ وولى نوفل ابن الفرات ثم عزل ، وولى حمد (٥) بن قحطبة ثم صرف سنة ١٤٣ هـ ، وولى يزيد بن حاتم المهلبى فأقام الى سنة ١٥٢ هـ فعزل ، وولى محمد بن سعيد فأقام إلى أن استخلف المهدى فعزله سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٦م، وولى أبو ضمرة محمد بن سليمان ثم ولى بعده عبدالله بن عبدالرحمن بن معاوية بن خديج التجيبى ، تم ولى بعده أخوه فأقام سنة وشهرين وتوفى بمصر ، ثم ولى موسى بن على اللخمى سنة ١٥٥ هـ فأقام إلى سنة ١٦١ هـ ، ثم ولى عيسى ابن اللخمى ، ثم ولى واضح مولى المنصور سنة ١٦٢ هـ ثم صرف ، وولى منصور بن يزيد الحميرى ، ثم ولى بعده يحيى بن ممدود(٦) أبو صالح الحرسى ، ثم ولى سالم بن سوادة التميمى سنة ١٦٤ هـ ، ثم ولى إبراهيم بن صالح العباسى من السنة فأقام سنة وثلاثة أشهر وعزل (٧) ، ثم ولى موسى بن عيسى العباسى فأقام أحد عشر شهراً وعزل ، فولى سلمة (٨) بن يحيى ، ثم ولى محمد بن زهير الأزدى ثم عزل سنة ١٧٣هـ / ٧٨٩هـ وولى داود بن يزيد المهلبى فأقام سنة ثم صرف وأعيد موسى بن عيسى ثم عزله

---

(١) بعد كلمة صرف ورد بالمخطوط عبارة "وولى فى السنة" وهى تخل بالمعنى .

(٢) الحوثرة فى حسن المحاضرة .

(٣) الفزارى فى حسن المحاضرة .

(٤) ١٤١ هـ فى حسن المحاضرة .

(٥) حميد فى حسن المحاضرة .

(٦) داود فى حسن المحاضرة .

(٧) فى الأصل (ثم عزل سنة ١٧١ هـ) وهو خطأ ، إذ ورد فى الكامل لابن الأثير إنه عزل سنة ١٦٧ هـ .

(٨) مسلمة فى حسن المحاضرة .

الرشيد سنة ١٧٦ هـ/ ٧٩٢م وولى جعفر بن يحيى البرمكى فاستناب عليها عمر بن مهران وكان رزى الشكل ولاه الرشيد لأمر أراده ثم عزل سنة ١٧٧ هـ ، وولى اسحق بن سليمان ثم عزل ، وأعيد موسى بن عيسى فى السنة ، ثم أعيد إبراهيم بن صالح العباسى سنة ١٧٧ هـ فتولى بمصر ، وولى عبدالله بن المسيب الضبى ، ثم ولى اسحق بن سليمان العباسى سنة ١٧١ هـ فأقام سنة ثم عزل ، وولى هرثمة بن أعين فأقام نحوا من شهر ثم عزل ، وولى عبدالملك بن صالح العباسى فأقام الى سلخ سنة ١٧٨هـ/ ٧٩٥م وولى عبيدالله بن المهدى العباسى فأقام سنة ، ثم أعيد موسى بن عيسى سنة ١٨٠ هـ ثم أعيد عبيد الله بان المهدى وصرف فى رمضان سنة ١٨١ هـ وولى اسماعيل بن عيسى فأقام سنة ثم صرف سنة ١٨٣ هـ/ ٧٩٩م ، وولى الليث بن الفضل البيرودى فأقام أربع سنين وشهراً ثم عزل ، وولى أحمد بن اسماعيل العباسى سنة ١٨٧ ، ثم ولى عبدالله بن محمد العباسى فأقام سنة ، ثم ولى الحسين بن حمل الأزدى سنة ١٩٠ هـ ، ثم ولى مالك بن فلهم الكلبى سنة ١٩٢ هـ ، وثم ولى الحسن ابن التختاخ(١) ، فأقام سنة ثم عزل ، فولى حاتم بن هرثمة ثم صرف سنة ١٩٥ هـ ، ثم ولى جابر بن الأشعث الطائى ، ثم ولى عباد بن نصر الكندى سنة ١٩٦ هـ/ ٨١٢م ثم ولى المطلب بن عبدالله الخزاعى سنة ١٩٨ هـ ، ثم ولى عيسى بن موسى فى السنة ، ولما تولاها عيسى بن طرف المأمون أرسل ولده عبدالله بطريق النيابة وكان معه الإمام محمد ابن إدريس الشافعى ، ثم أعيد المطلب سنة ١٩٩ هـ/ ٨١٥م ، ثم ولى السرى بن الحكم سنة مائتين هـ/ ٨١٦م ثم ولى سليمان بن غالب سنة ٢٠١ هـ ، وفى هذا التاريخ كان دخول السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام على رضى الله عنهم الى مصر ، ولدت بمكة سنة ١٤٥ هـ ونشأت بالمدينة ولها صحبة بكثير من النساء والصحابيات وتزوجها اسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الإمام الحسين بن على بن أبى طالب ورزقت منه القاسم وأم كلثوم وأقامت بمصر سبع سنين وتوفيت سنة ٢٠٨ هـ وخرج زوجها من مصر بولدها القاسم وأم كلثوم الى المدنية ، ثم أعيد السرى بن الحكم فمات فى سنة ٢٠٥ هـ ، وفى زمنه توفى الإمام الشافعى رضى الله عنه سنة ٢٠٤ هـ وولى بعده أبو نصر محمد بن اسرى وفى زمنه توفى الامام الشافعى رضى الله عنه سنة ٢٠٤ هـ وولى بعده أبو نصر محمد بن السرى فمات بمصر ثم تغلب عليها عبيد الله بن السرى فى سنة ٢٠٦ هـ فأقام الى سنة ٢١٠ هـ فوجه إليه المأمون عبدالله بن طاهر فاستنقذها منه بعد حروب كثيرة ، وذكر أبو القاسم المغربى أن البطيخ العبدلاوى بمصر نسب الى عبدالله بن طاهر قال ابن خلكان : إما لأنه كان يستطيبه أو لأنه كان أول من(٢) زرعه بها ، ثم ولى بعده عيسى بن يزيد الجلودى ، ثم فى سنة ٢١٣ هـ ثار بمصر رجلان وهما عبدالسلام وابن خليس فاستحوذا على

(١) بن التختاح اضفتها من حسن المحاضرة . (٢) (أول من) ساقطة فى الأصل .

مصر وخلعا المأمون وتابعهم طائفة من القيسية واليمانية فولى المأمون أخاه أبى اسحاق المعتصم بن الرشيد نيابة مصر مضافة الى الشام فقدمها سنة ٢١٤ هـ فافتتحها وقتل عبدالسلام وابن خليس وأقام بمصر مدة ، ثم وليها عمير بن الوليد التميمي ثم صرف وأعيد عيسى بن يزيد الجلودى ثم صرف وولى عبد ربه بن جبلة سنة ٢١٥ هـ ، ثم ولى عيسى بن منصور مولى بنى نصر وفى أيامه قدم المأمون مصر فى سنة ٢١٦ هـ/ ٨٣١م و هدم مقياس الجزيرة وأسسه ولم يتمه فأتمه المتوكل فى خلافته وهو الموجود الآن ، ثم ولى نصر لقب بكيدر السعدى إلى سنة ٢١٩ هـ [١] ، ثم ولى المظفر بن كيدر ، ثم ولى موسى بن أبى العباسي الحنفي ، ثم ولى مالك بن كيدر وصرف سنة ٢٢٤ هـ/٨٣٨م ، ثم أعيد عيسى بن منصور سنة ٢٢٩ هـ ثم توفى بمصر ، فتولاها هرثمة بن نصر الجيلى [٢] سنة ٢٣٣ هـ ، ثم ولى ابنه حاتم فى السنة فأقام شهراً ، ثم ولى اسحاق بن يحيى الجيلى سنة ٢٣٥ هـ /٨٤٩م، ثم ولى عبدالواحد بن يحيى مولى خزاعة سنة ٢٣٦ هـ ، فاقام إلى سنة ٢٣٨ هـ ، ثم ولى عنبسه ابن اسحاق الضبى فأقام الى سنة ٢٤٤ هـ ، وولى يزيد بن عبدالله من الموالى وكان ذلك فى خلافة جعفر المتوكل وهو الذى أتم بناء مقياس الروضة الموجود الآن فى سنة ٢٤٧ هـ/ ٨٦٥م وقدم من العراق محمد بن كثير الفرغاني المهندس فتولى بناه وجعل على المقياس أبا الرداد واسمه عبدالسلام البصرى كما تقدم وأجرى عليه سليمان ابن وهب فى كل شهر سبعة دنانير على ذلك وتوفى أبو الرداد[٣]، فى سنة ٢٦٦ هـ وكان قبل ذلك يتولاه النصارى القبط فورد كتاب المتوكل على القاضي بكاربن قتيبة بأن يولى عليه مسلماً يختاره فأختار له أبا الرداد ، وعلامة وفاء النيل ست عشر ذراعا أن يسبل ابن أبى الرداد الستر الأسود الخليفتى على شباك المقياس فإذا شاهده الناس تباشروا بالوفاء واجتمعوا للفرجة من كل ناحية وأقام يزيد حاكماً على مصر تسع سنين وأشهر ثم صرف سنة ٢٥٣ هـ ، ثم ولى بعده مزاحم بن خاقان ثم ابنه أحمد ثم أخوه ثم أنوجور التركى كلا منهم فى السنة ثم صرف عنها فى السنة ووليها أحمد بن طولون التركى وأضيفت إليه نيابة الشام والعواصم[٤] والثغور فأقام مدة طويلة وفتح مدينة انطاكية وبنى بمصر فوق جبل يشكر جامعة المشهور سنة ٢٦٣ هـ[٥]، وهو محل[٦] مبارك مربه موسى وناجى الله تعالى عليه وقيل أن محل المناحاة هو محراب المسجد الآن والدعاء عنده مستجاب ، وكان طولون من الأتراك الذين أهداهم

---

(١) هذه العبارة مكررة فى الأصل . (٢) بن النضر الجلى فى حسن المحاضرة .
(٣) أبو الزباد فى الأصل (٤) القواصم فى الأصل .
(٥) جامع ابن طولون يعتبر أقدم مساجد مصر القائمة حتى الآن ، وقد أنتهى من بنائه سنة ٢٦٥ هـ ، وهو يشغل مساحة ستة أفدنه ونصف جعلت منه أكبر جامع فى مصر وثالث جامع فى العالم الإسلامى بعد جامع سامراء وجامع أبى دلف فى العراق الذى بنى على طرازهما حيث يشكل الجامع مساحة مربعة الشكل طول ضلعها ٦٢ متر ويتكون من صحن كبير مكشوف تحيط به أربع ظلات أهمها ظلة القبلة التى تتكون من خمس بلاطات تسير بائكاتها موازية لجدار القبلة أما بقية الظلات فتتكون من رواقين ويحيط بالجامع ٣ زيادات فى الناحية الغربية والشرقية والشمالية .
(٦) محمل فى الأصل

نوح بن أسد الساسانى عامل بخارى إلى المأمون من سنة مائتين وقيل إلى الرشيد سنة تسعين ومائة ، وولد لطولون ابنه أحمد فى سنة عشر وقيل ست عشرة ومائتين ، وكانت إمارته فى زمن المعتز بالله الخليفة العباسى وكان ذا خيرات كثير الصدقات يتصدق فى كل أسبوع بثلاثة آلاف دينار سوى الرواتب ، ويجرى على أهل المساجد فى كل شهر ألف دينار ، وكان خراج مصر فى أيامه أربعة أربعة آلاف ألف دينار ، وكان لابن طولون مابين رحبة مالك ابن طوق إلى اقصى المغرب خلا الأندلس فإنها كانت فى يد عبد الرحمن الداخل الأموى وأولاده ، واستمر ابن طولون أميراً بمصر إلى أن مات بها ليلة الأحد عشر خلون من ذى القعدة سنة ٢٧٠ هـ/ ٨٨٤م فى خلافة المعتمد أحمد بن المتوكل وخلف سبعة عشر ابناً قال بعض الصوفية رأيته فى المنام بعد موته بحالة حسنة فقال لى : لا ينبغى لمن سكن الدنيا أن يحتقر حسنة فيدعها ولا سيئة فيأتيها ، عدل بى عن النار إلى الجنة بثبتى على متظلم عيىّ اللسان وما فى الآخرة على رؤساء الدنيا أثقل من الحجاب لملتمس الانصاف ، وولى بعده ابنه أبو الجيش خمارويه وأقام أيضا مدة طويلة ، ثم فى ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين ومائتين قدم البريد (١) على المعتضد فاخبر أن خمارويه ذبحه بعض خدمه على فراشه ، فولى بعده ولده جيش فأقام تسعة أشهر ثم قتلوه ونهبوا داره وولوا هارون بن خمارويه، وقد التزم فى كل سنة بألف ألف وخمسمائة ألف دينار يحملها إلى باب الخليفة ، فأقره المعتضد على ذلك فلم يزل أميراً إلى سنة اثنتين وتسعين ومائتين هـ/ ٩٠٥م فدخل عليه عماه شيبان وعدى ابنا أحمد بن طولون وهو ثمل فقتلاه وولى عمه أبو الغنايم شيبان ، فورد بعد اثنى عشر يوماً من ولايته من قبل المكتفى ولاية محمد بن سليمان الواثقى ، فسلم إليه شيبان الأمر واستصفى أموال بنى طولون وانقضت الدولة الطولونية من الديار المصرية ، وأقام محمد بن سليمان أميراً أربعة أشهر وعزله عيسى بن محمد النوشرى فأقام عليها خمس سنين وشهرين ونصف ومات سنة سبع وتسعين ومائتين هـ/ ٩١٠م فولى المقتدر أبا منصور تكين الخاصة (٢) ، ثم صرف فى سنة ثلاث وثلثمائة وولى ذكا أبو الحسن ، ثم توفى سنة سبع وثلثمائة وأعيد تكين الخاصة ، ثم صرف سنة تسع وثلثمائة وولى هلال ابن بدر ثم صرف سنة ٣١١هـ/٩٢٣م ، وولى أحمد بن كيغلغ ، ثم صرف من عامه وأعيد تكين الخاصة فأقام إلى أن مات سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م ، وورد الخبر بموته إلى بغداد وأن محمداً ولده قد قام بالأمر من بعده فسير إليه القاهر الخلع بتنفيذ الولاية واستقراره ، ثم صرف وولى أبو بكر محمد بن طغج الملقب الإخشيد ثم صرف من عامه وأعيد أحمد بن كيغلغ ، ثم صرف فى سنة ٣٢٣هـ فى خلافه الراضى ابن المقتدر ، وفى ذلك الوقت كان تغلب أصحاب الأطراف لضعف أمر الخلافة وبطلان معنى الوزارة ، وصارت الدواوين تحت حكم أمير الأمراء محمد بن رائق ، وصارت الدنيا فى أيدى عمالها فكانت مصر والشام فى يد الأخشيدية ملوك مصر وهم خمسة أنفار ومدتهم ٣٥ سنة وأولهم

(١) اليزيد فى الأصل . (٢) الخادم فى الكامل فى التاريخ لابن الأثير .

محمد بن طغج(١) ، وليها سنة ٣٢٣هـ واستمر يجرى حكمه بمصر والشام إحدى عشرة سنة إلى أن مات فى ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة هـ/٩٤٦م ، فقام ابنه القاسم أنوجور ومعناه بالعربية محمود وكان صغيراً فاقيم كافور الإخشيدى الخادم الأسود أتابكا يدبر المملكة ، وفى زمنه زلزلت مصر زلزلة عظيمة دامت ثلاث ساعات حتى هدمت البيوت وضج الناس بالدعاء فمدحه شاعره الجمل بقوله :

ما زلزلت مصر مں سوء براد بها ... لكنها رقصت من عدله فرحاً .

ثم مات أنوجور سنة ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م وقام بعده أخوه على فاستمر كافور أتابكا أيضاً إلى أن مات على سنة ٣٥٥ هـ/٩٦٦م ، فاستقل بالملك كافور وصار يدعى له على المنابر المصرية والشامية والحجازية، فأقام سنتين وأربعة أشهر ومات فى جمادى الأول سنة ٣٥٧هـ /٩٦٧م، قال الذهبى : كان كافور خصياً حبشياً اشتراه الإخشيد من بعض أهل مصر بثمانية عشر ديناراً ، ثم تقدم عنده لعقله ورأيه ، ثم لما مات استاذه صار أتابكا لولده أنوجور كما تقدم فغلب على الأمر وصار الاسم للولد والدست لكافور ، تم استقل بالأمر ولم يبلغ أحد من الخصيان ما بلغ كافور ومؤنس المظفر الذى ولى سلطنة العراق ، ولما مات كافور ولى المصريون بمكانه أبا الفوارس أحمد بن على الإخشيد وهو ابن اثنتين وعشرين سنة فأقام سنتين وثلاثة أشهر (٢) ، حتى أتى جوهر القائد من المغرب وأنتزعها منه والله أعلم .

الفصل الرابع : فى ذكر خلفاء بنو عبيد المعروفين بالفاطميين

ومدتهم مائتان وست سنوات ، وأول من تولى مصر منهم المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور اسماعيل ، وذلك أنه لما أختل أمر الديار المصرية بعد وفاة كافور الإخشيدى لم يبق بمصر من تجتمع عليه القلوب ، وأصاب الناس غلاء شديد أضعفهم ، واستقل خلفاء بنى العباس بالديلم عن أمر مصر ، فبلغ دلك المعز وهو ببلاد أفريقية فبعث مولى أبيه جوهر الصقلى القائد الرومى وكان إذ ذاك يعرف بقائد القواد ومعه مائة ألف مقاتل وخمسمائة يغل محملة مالاً ، فدخل مصر يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة هـ/٩٦٨م، فهرب أصحاب الإخشيد وأخذ جوهر مصر بلا طعنة ولا ضربة ، وخطب للمعز بالديار المصرية وأعمالها ، كما أمر الموذنين بجامع عمرو وحامع أحمد بن طولون أن يؤدىوا بحى على حير

(١) طنج فى الأصل .

(٢) ذكر المقريزى فى الخطط حـ١ ص ٣٣٠ ، أن أبا الفوارس أحمد ولى مصر وسنه إحدى عشرة سنة فى يوم وفاة كافور وليس ٢٢ سنة كما هو مذكور أعلاه ، وأنه لم يقم سنتين كما ذكر أعلاه وإنما سنة واحدة لأن كافور مات فى جمادى الأول ٣٥٧هـ وفتح الفاطميون مصر ودخلوا القاهرة فى ١٧ شعبان سنة ٣٥٨هـ

العمل فشق ذلك على الناس وما استطاعوا له رداً، وأسرع فى بناء القاهرة واختط سورها وبناه باللبن في سنة ٣٦١هـ وبنى القصرين والجامع الأزهر فى هذا التاريخ . وأرسل البشير ذلك إلى المعز من المغرب فجاء (١) من المغرب بعسكره ، فوصل إلى الإسكندرية في شعبان سنة ٣٦٢هـ فتلقاه أعيان مصر فدخلها خامس رمضان فنزل بالقصرين وسط المدينة وسمى المدينة بالقاهرة بعد أن كان سماها جوهر المنصورية (٢) ، وسبب ذلك أنه لما حضر الأساس نصب عليه حبلاً فيه أجراس وقعد يرصد طالعاً سعيداً يرمى فيه الأساس وأوقفوا الفعلا حاملين للأحجار وأمرهم المنجمون إنهم إذا حركوا الحبال وسمعوا صوت الأجراس يلقون ما بأيديهم من الأحجار فى الأساس ، فاتفق أن غراباً سقط على الحبال فتحركت الأجراس ، فلما سمع الموكلون صوتها أمر الفعلا أن يرموا الأحجار فى الأساس فقال لهم المنجمون : لا لا الطالع القاهر والمنجمون يسمون المريخ القاهر، فلما بلغ المعز ذلك غير أسمها وسماها القاهرة (٣) ، وجلس المعز على سرير الملك سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م وأقام بالقاهرة سنتين ونصف إلى أن توفى فى ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة ٩٧٥م ثم تولى بعده ولده العزيز بالله نزار بن المعز فملك إحدى وعشرين سنة ثم توفى بمدينة بلبيس سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م ثم تولى بعده ولده أبو على الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز وكان شيطاناً مريداً سيء الإعتقاد سفاكاً للدماء ، بنى جامعه المشهور بقرب باب النصر ، ثم ادعى الألوهية قتل فى شوال سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م ومدة ملكه خمس وعشرون سنة ، فقام بالأمر بعده ابنه الظاهر بأمر الله على بن الحاكم بأمر الله فأقام خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وتوفى فى شوال سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م وقام بالأمر بعده ولده المستنصر بالله معد بن الظاهر ، ولى الملك يوم توفى أبوه وجرت فى أيامه فتن وشدائد ، وانقطعت قافلة الحاج من البر من سنة خمسين وأربعمائة وصار الناس يسافرون من النيل إلى قوص ثم يمرون من صحراء عيذاب ثم يركبون البحر المالح إلى جدة، واستمر كذلك زيادة على مائة سنة إلى أن اخرجها الملك الظاهر بيبرس البندقدارى من البر ، وفى سنة ستين وأربعمائة حصل الغلاء الكبير بمصر الذى ما عهد مثله منذ زمان يوسف الصديق وسببه انقطاع النيل عن الزيادة نحو أربع سنوات ثم زاد فى الخامسة فأقام على وجه الأرض ثلاث سنوات ، فأستمر الغلاء سبع سنوات حتى أكل الناس بعضهم بعضاً وبلغ الأردب القمح مائة دينار وأبيع الكلب بخمسة دنانير والهرة بثلاثة دنانير ،

---

(١) (فجاء) ساقطة فى الأصل .

(٢) (المعربة) فى الأصل * والمنصورية التى اطلقت أولاً على القاهرة سميت بهذا الاسم تيمناً باسم مدينة المنصورية التى انشأها حارج القيروان المنصور بالله والد المعز.

(٣) ارتبط ببناء وتأسيس المدن أساطير مثل تلك الأسطورة ، والواقع ان الذى كان يتحكم فى تاسيس المدن الموقع ، والأهمية الاستراتيجية ، والأمية ، والسكانية ، ويبدو أن جوهر أسس القاهرة لتكون بمثابة مدينة ملكية كضاحية لمدينة الشعب الفسطاط ،وهو بذلك يماثل وضع المنصورية للقيروان ،'ويأتى التشابه أيضاً فى أن بابين من أبواب المنصورية كان يطلق على أحدهما باب رويلة والثانى باب الفتوح ، وقد أطلق هذان الإسمان على بابين من أبواب سور مدينة القاهرة المصرية .

وفى مرآة الزمان : أن إمرأة خرجت من القاهرة ومعها مد جوهر فقالت من يأخذه بمد من بر فلم يلتفت إليها أحد فألقته فى الطريق ، ثم انصب النيل فى السنة السابقة وأقام معد (١) الخليفة فى ولايته ستين سنة إلى أن مات ثامن عشر ذى الحجة سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م ، ثم تولى بعده أحمد المستعلى بالله بن المستنصر وفى زمنه اختلت دعوتهم ودولتهم وأقام خليفة سبع سنوات وشهراً ومات فى عشرين صفر سنة ٤٩٥هـ /١١٠١م، فتولى الخلافة بعده أبو على الآمر بأحكام الله منصور وكان رافضياً ظالماً فاسقاً ، فأقام خليفة ثلاثين سنة وثمانية أشهر وقتل سنة خمس وعشرين وخمسمائة (٢) ١١٣٠م ثم قام بالأمر بعده ابن عمه الحافظ لدين الله أبى الميمون عبد المجيد بن أبى القاسم فأقام خليفة تسع عشرة سنة وأشهر وهو الذى بنى الجامع الأقمر(٣)، ومات سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م ، ثم قام بعده الظافر بالله اسماعيل بن الحافظ عبد المجيد وكان عاقلاً عمر الجامع الفاكهى (٤) ، بالشوايين المعروف بالظافرى ، ثم قتل فى المحرم سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م وكانت مدته أربع سنين ، وثمانية أشهر ، فقام بالأمر بعده ولده الفائز بنصر الله عيسى بن الظافر وكان وزيره الصالح طلائع بن رزيك والصالح هو الذى بنى الجامع خارج باب زويلة والمشهد الحسينى سنة ٥٤٧هـ ومات الفائز سنة خمس وخمسين وخمسمائةهـ/ ١١٦٠م ومدة خلافته ست سنوات وخمسة أشهر ثم قام بالأمر بعده العاضد لدين الله عبدالله ، ولى الخلافة وعمره إحدى عشرة سنة ، وكان وزيره الصالح طلائع ، ثم استوزر شاور ويسمى بأمير الجيوش ، وشاور هذا هو الذى أخرب الفسطاط لأن الفرنج لما ملكوا دمياط وأتت طلائعهم إلى بلبيس خاف على الفسطاط أن يملكوها فأحرقها بالنار فأقامت النار فيها أربعة وخمسين يوماً وكانت مدينة عظيمة كان بها أربعمائة حمام وهى الكيمان الموجودة الآن بجوار جامع عمرو بن العاص ، ثم ان الفرنج طلبوا من العاضد ألف ألف دينار فوعدهم بذلك وأرسل إلى السلطان نور الدين الشهيد صاحب الشام وكان بحلب فأمده بستين ألف مقاتل وكان المقدم عليهم أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه يوسف بن أيوب ، فلما سمع الفرنج بقدومه ترحلوا وتحصنوا بدمياط ، فلما قدم أسد الدين أجلى الفرنج عن أرض مصر وقتل منهم خلقاً كثيرين ثم رحل إلى نور الدين فكاتب شاور الفرنج ووعدهم بتمليك مصر فعادوا ، فكاتب العاضد نور الدين الشهيد فجهز لهم شيركوه ومعه صلاح الدين يوسف وأمره بالإقامة بمصر فعاد إليها وفتحها وقتل الفرنج ثم توفى شيركوه وتولى صلاح الدين الوزارة للعاضد بعد أن قتل شاور ثم أمر العاضد بملازمة القصر وحجر عليه فاستمر إلى أن مات فى المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة هـ/ ١١٧١م فكانت خلافته اثنتى عشرة سنة وهو آخر الخلفاء الفاطميين بمصر .

---

(١) معه فى الأصل

(٢) ذكر المؤرخون أنه قتل فى ذى القعدة سنة ٥٢٤هـ عند رأس الجسر الموصل بين مصر القديمة إلى جزيرة الروضة .

(٣) جامع الأقمر يحمل رقم ٣٣ فى فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة وهو يقع فى الشارع الأعظم للقاهرة (شارع المعز لدين الله) ويرجع تاريخ إنشائه إلى سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م .

(٤) جامع الفاكهى أو الفكهانى يحمل رقم ١٠٩ فى الفهرس ويرجع لسنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م وهو يقع بالغورية .

الباب الثالث
فى ذكر ملوك مصر من الأكراد ومماليكم الأتراك ثم الجراكسة

إلى أن استنقذها منهم السلطان سليم بن عثمان وفيه فصول ، الفصل الأول فيمن ملكها من الأكراد وهم تسعة أولهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف (١) بن أيوب بن مروان بن شادى الحميدى، ذكر ابن الأثير فى تاريخه : أنهم من الأكراد الروندية ، وكان من أمر صلاح الدين أنه لما تولى الوزارة للعاضد أرسل له نور الدين يأمره بأقامة الخطبة لبنى العباس فى الديار المصرية فأقامها فى أول جمعة من السنة باسم المستضىء بالله ثم توفى العاضد فتسلم صلاح الدين القصر بما فيه، فلما بلغ المستضىء بالله العباسى بإعادة الخطبة باسمه أرسل رسوله بحلعتين أحدهما لنور الدين والثانية لصلاح الدين ، وكان صلاح الدين فى ظاهر الأمر نائباً لنور الدين فى أرض مصر وهو الذى بنى السور المحيط بالقاهرة وذلك فى سنة ٥٧٤هـ ، ودور هذا السور بالذراع الهاشمى تسعة عشرون ألف ذراع وثلثمائة ذراع ، وفى أيامه عمرت قلعة الجبل وهى الآن دار السلطنة ، أمر بهاء الدين قراقوش ببنائها فشرع فى بنائها ولم تتم حتى مات صلاح الدين وولى الملك الكامل فأتمها وهو أول من سكنها ، وبنى صلاح الدين تربة الإمام الشافعى ، وكان صلاح الدين ملكاً عادلاً فارساً شهماً واستقل بمصر بعد موت نور الدين وكان كثير الجهاد فى الكفار فتح منهم نيفا وسبعين مدينة وحصناً ، وكان حكمه من أقصى اليمن إلى الموصل ومن طرابلس إلى الغرب ، وكان شافعى المذهب أشعرى العقيدة وانقذ من بلاد الكفار نحواً من عشرين ألف مسلم وأسر من الفرنج مائة ألف إنسان واستنقذ بيت المقدس وبلد الخليل وبيت لحم وعسقلان وغزة والرملة والطور ونابلس وما قاربهم من يد الفرنج وأحدث الكسوة للبيت الحرام من مصر (٢) ، فى كل سنة فصارت عادة ، وتوفى بقلعة دمشق يوم الأربعاء سابع عشر صفر سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م (٣) ونقل إلى التربة المستجدة بالمدرسة العزيزية ومدة ملكه أثنان وعشرون سنة ، ثم حصل بين ولديه الأفضل على وأخيه العزيز عثمان منازعة من قبل السلطنة واستمرت أربع سنين إلى أن استقر فى السلطنة الملك العزيز عثمان وكان دينا صالحاً حسن الأخلاق توفى فى المحرم سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م ودفن عند قبر الإمام الشافعى ومدة سلطنته ست سنوات (٤) إلا

(١) فى الأصل (يوسف صلاح الدين) .
(٢) (مصر) ساقطة فى الأصل .
(٣) ١٨٩هـ فى الأصل .
(٤) سنة فى الأصل .

شهراً ، ثم تولى السلطنة بعده الملك المنصور محمد بن الملك العزيز عثمان فأقام سنتين وشهراً تم خلع من السلطنة، ثم تولى الملك عم أبيه الملك العادل أبو بكر محمد بن أيوب ، جلس على سرير السلطنة فى ربيع الأول سنة ٥٩٦هـ/١٢٠٠م فأقام فى السلطنة تسع عشرة سنة وشهراً ، وفى أيامه كان بدأ الحشيش بمصر واستمر النيل نحو سبع سنين لم يبلغ ثلاثة عشر ذراعاً حتى أكلت الناس الجيف وباعوا رغيفاً واحداً بألف ذهب وأعقبه فناء عظيم ثم توفى سابع جمادى الآخر سنة ٦١٥هـ/١٢٠٨م بمدينة دمشق ، تم تولى السلطنة بعده ولده الملك الكامل محمد بن أبى بكر ، جلس فى السلطنة يوم وفاة أبيه وهو الذى عمر المدرسة الكاملية (١) التى بين القصرين وحددت والدته الملكة شمسه قبة الإمام الشافعى الموجودة الآن وأجرت إليها ماء النيل من بركة الحبش ، فأقام الكامل فى السلطنة عشرين سنة وخمسة وأربعين يوماً إلى أن توفى حادى عشر رجب سنة ستمائة وخمس وثلاثين هـ/١٢٤٠م بقلعة دمشق ، فتولى الملك ولده الملك العادل أبو بكر محمد بن الكامل وهو المعروف بالعادل الصغير ، وتولى الملك باتفاق من الأمراء فأقام فى السلطنة سنة ونصف سنة ثم خلعه وحبسه الملك الصالح فأقام محبوساً تسع سنين ثم خنقة الملك الصالح ، ولما خلع العادل تولى الملك الصالح نجم الدين (٢) أيوب بن الملك الكامل محمد ،جلس على تخت السلطنة سنة ٦٣٧هـ وهو الذى عمر قنطرة السد (٣) ، وبنى القلعة بالروضة (٤) ، وباشر بناءها بنفسه واتقنها (٥) . وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب وما يحتاجه المقيمون بها من الغلال والأقوات خوفاً من محاصرة الفرنج ، ولما كملت تحول إليها بأهله واتخذها دار الملك وأسكن معه فيا مماليكه المعروفين بالبحرية وكانوا ألف مملوك وهو الذى عمر المدرسة الصالحية بين (٦) ، القصرين واستخلص دمشق من صاحبها بعد حروب طويلة ، وسافر للقاء العدو من الإفرنج بالمنصورة فمرض بها ومات خامس عشر شعبان سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م ، وكان ملكاً مهاباً ذا بطش قتل خلقاً كثيراً ومات فى حبسه ما ينوف عن خمسة آلاف نفس ، وكانت مدة ملكه عشر سنين إلا خمسين يوماً ، ولما مات كتمت موته زوجته شجرة الدر وأرسلت خلف ولده توران شاه وكان مقيماً بحصن كيفا وأقام الصالح بعد

---

(١) أثر رقم ٤٢٨ ، وقد بناها سنة ٦٢٢هـ /١٢٢٥م .

(٢) توجد كلمة (ابن) زائدة قبل كلمة أيوب فى الأصل .

(٣) قنطرة السد كانت تقع على الخليج الكبير الذى يخترق القاهرة ويسمى الخليج الحاكمى ، وقد عمر القنطرة الملك الصالح سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م ، وموقعها الآن فى شارع الخليج المصرى (بورسعيد حاليا) عند تقاطعه بشارع على باشا ابراهيم (شارع مدرسة الطب سابقاً) بمنطقة أبو الريش بالسيدة زينب .

(٤) القلعة الصالحية كانت تقع فى آخر جزيرة الروضة وكانت تشغل مساحة ٦٥ فدانا وموقعها الآن من شارع السطامى حتى مقياس النيل بجزيرة الروضة ، وكان بها ستين برجاً واستغرق بناءها ثلاث سنوات بدءاً من سنة ٦٣٨هـ/١٢٣٩م ، وقد أمر بهدمها الملك المعز عز الدين أيبك ليعمر بموادها مدرسته المعزية ، وتوالى هدمها ونهبها بعد ذلك حتى اندثرت تماماً .

(٥) أنفعها فى الأصل .

(٦) أثر رقم ٣٨ ، وتاريخ بناءها من سنة ٦٤١-٦٤٨هـ /١٢٤٣-١٢٥٠م

موته أربعة أشهر لم يعلم أحد بموته والملكة شجرة الدر تعلم على المناشير إلى أن حضر ولده الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين وتولى الديار المصرية والشامية يوم الثلاثاء تاسع ذى القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة ، وسافر إلى دمياط وكسر الفرنج كسرة عظيمة وقتل منهم مائة ألف كافر وأسر ملكهم " وقد قتله مماليك أبيه في يوم الاثنين سابع عشر محرم سنة ٦٤٨هـ وكانت مدة حكمه شهرين" (١) ، واستمرت فى السلطنة باتفاق من الأمراء أم خليل شجرة الدر الصالحية لما كانت (٢) عليه من حسن التدبير وخطب باسمها وضربت لها السكة وجعلت أبيك التركمانى نائبا عنها وذلك فى عاشر صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة هـ وأطلقت ملك الفرنسيس الذى كان أسره الملك المعظم بعد أمور كثيرة واشترطت عليه أن يسلم دمياط للمسلمين بعد أن كانت فى يد الفرنج أحد عشر شهراً وعشرة أيام ، ثم تزوجت بنائبها أبيك التركمانى ، ثم اتفق رأى الأمراء على سلطنة الملك التاسع من بنى أيوب وهو الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك الناصر صلاح الدين" بن المسعود بن الملك الكامل" (٣) ، فتولى السلطنة يوم الأربعاء ثانى شهر جمادى الأولى سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م ولصغر سنة أقاموا الأمير أيبك التركمانى أتابكا له وأشركوه معه فى السلطنة ، وفى ذلك الوقت عظم أمر المماليك البحرية وكان كبيرهم الفارس أقطاى الصالحى وأخذ من الأموال ما أراد وجعل ثغر الاسكندرية إقطاعاً له ثم أن أيبك تغلب على الملك وعزل السلطان مظفر الدين موسى لصغره واستقل بالسلطنة ، وبعزل موسى أنقضت الدولة الأيوبية ومدة ملكهم ثلاث وثمانون سنة وعدتهم تسعة أنفار ذكور غير شجرة الدر .

الفصل الثانى : فى ذكر ملوك مصر من الأتراك مماليك الأيوبية وأولهم السلطان المعز عز الدين أيبك (٤) ، إتفق الأمراء على سلطنته عوضاً عن الأشرف يوسف لصغره حين بلغهم قدوم التتار ، تسلطن أيبك ودبر المملكة أحسن تدبير ، ولما تمكن من السلطنة هرب المماليك البحرية إلى الشام وكان رئيسهم بيبرس البندقدارى وقلاوون الألفى وسنقر الأشقر وغيرهما فاحتاط على أموالهم ، ثم أن أيبك خطب ابنة صاحب الموصل فسمعت بذلك شجرة الدر فتغيرت عليه ، فلما بلغه ذلك عزم على قتلها ، فلما بلغها عزمه اتفقت مع الطواشى محسن الجرجرى على قتله فقتلوه فى الحمام ، فلما بلغ مماليكه قتله هجموا على شجرة الدر ليقتلوها فوجدوا زوجة المقر أم ولده هجمت عليها هى وجواريها وضربوها بالقباقيب إلى أن ماتت وذلك

---

(١) هذه العبارة ساقطة فى الأصل وأضفتها ليستقيم المعنى .

(٢) هذه العبارة مضطربة فى الأصل وأضفت تاء التأنيث لكلمة استمر ولكلمة كان ليستقيم المعنى لأن المفروض أن يكون الكلام على شجرة الدر .

(٣) أضفت هذه العبارة بين القوسين حتى لا يختلط الأمر على القارىء فيظن أنه ابن صلاح الدين مؤسس الدولة

(٤) أضاف الناسخ فى الأصل كلمة (أحمد بن) قبل كلمة أيبك وقد حذفتها لأنها خطأ .

سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م ، فكانت مدة سلطنته سبع سنين إلا شهراً ، ثم تولى السلطان الثانى من الأتراك وهو المنصور نور الدين على ابن المعز أيبك ، جلس على سرير الملك فى اليوم الثانى من قتل والده ، وفى أيامه أخذ التتار بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم وأولاده كما تقدم وقصدوا الشام ، ثم أن الأتابك الأمير سيف الدين قطز قبض على المنصور على وأخوته وأمه وحبسهم بالقلعة بثغر دمياط فى المحل المعروف ببرج السلسلة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م فكانت مدة ملكة سنتين وثمانية أشهر ، وتولى السلطنة أتابكه الملك المظفر قطز المعزى ، فلما تولى السلطنة عظم أمر المملكة ، ومن سنة ٦٥٨هـ وصلت التتار إلى حلب وأخذوها وأرسل هولاكو رسولاً إلى المظفر يدعوه إلى الطاعة ، فلما وصلت رسله إلى المظفر وكانوا أربعة أمر بتوسيطهم فوسطوا ، ثم أنفق الملك على العساكر وسار إلى البلاد الشامية فوجدوا أوائل التتار نفرة فهربوا من الملك المظفر ، ثم التقى معهم بعين جالوت من أرض كنعان فقاتلهم قتالاً شديداً حتى كسر التتار وأسر منهم حلقاً كثيرين ثم توجه إلى حلب ورتب حال المملكة وعاد إلى الديار المصرية ، فلما كان فى أثناء الطريق مال عن الطريق ليتصيد وكان بيبرس البندقدارى استماله جماعة من الأتراك وتوافق معهم على قتل الملك المظفر قطز فهجموا عليه وقتلوه فى تلك السنة التى تولى فيها فكانت سلطنته سنة، ثم أن الجند اتفقوا على أن يسلطنوا الملك الظاهر بيبرس البندقدارى فتسلطن ولقب بالملك الظاهر وكان ملكاً شجاعاً مهاباً ، ومن فتوحاته قلعة بانياس (١) ، ويافا والثقيف وانطاكية وقلعة البيرة والكرك والشوبك وقيصرية وقلعة الهوى وعكة وكنبول وأدنه والمصيصة وسائر حصون الإسماعيلية ، وفى سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م وقع غلاء عظيم بمصر حتى عزت الحنطة فجمع السلطان الحرافيش والفقراء وفرقهم على الأمراء وأخذ لنفسه منهم جماعة كثيرة وأعطى ولده بركة وولده سلامش جماعة منهم ، وكان الذى أخذه منهم لنفسه خمسمائة نفس فما رؤى فى ذلك الغلاء العظيم فقير يسأل ، وفى سنة ٦٦٦هـ حج وكسى الكعبة وعمل لها مفتاحاً ، وفى زمنه خرجت الحجاج من طريق البر بعد انقاطعهم زيادة عن مائة سنة وذلك من أيام المستنصر الفاطمى ، وكان حجاج مصر والمغرب يركبون السفن من القصير(٢) ، فأعاد الأمر على ما كان عليه ، ولما عاد من الحج عرج على المدينة فزار قبر النبى ﷺ وزار فى طريقه بيت المقدس ثم عاد إلى مصر وعمر الحرم الشريف وقبة الصخرة وكانت تداعت إلى السقوط وعمر ما أخربه هولاكو، ثم فاجأه الأجل فمات بمدينة دمشق ثامن عشر المحرم سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م وكانت مدة سلطنته سبع عشرة سنة ولما مات تولى السلطنة بعده ابنه الملك السعيد (٣) ، وقام بتدبير المملكة الأمير بيليك الخازندار نائب والده ، ثم وقع بينه وبين عساكره مخامرة فأرادوا خلعة فخلع هو نفسه

---

(١) مايناس فى الأصل .
(٢) القصير ميناء على البحر الأحمر
(٣) (ابنه الملك السعيد) ساقطة فى الأصل .